على نفسه بالمعاصي، والإقرار بالذّنب. ولفظ "أستقيل" و"ذنوب" من مراعاة النّظير، وكذا "عُمْر" و"مضى"، و"خَدَمْتُهُ" و"مديح".

وقوله : "إِذ قَلَّدَانِيَ.." البيت؛ فيه تورية فقهية؛ لأنّ التّقليد عندهم الّذي هو من سُنّة الهَدْي كالإشعار، معناه القريب تقليد نَعْل أو ما تُنبته الأرض في عنق البَدَنة أو البقرة، ومعناه البعيد المراد هنا الحُكم الّذي أُلزمه وجُعل له كالقلادة من إثم الشِّعر والخِدَم لغيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه التّورية مجرّدة؛ لتشبيهه نفسه بالهَدْي من النَّعَمِ. ولفظ "التّقليد" و"الهَدْي" و"النَّعَمِ" من التّناسب. وقوله : "قَلَّدَانِيَ" و"كأنّني بِهِمَا" بعد ذكر "الشِّعر" و"الخِدَمِ" من الجمع. وقوله : "من النَّعَمِ" يحتمل أنْ يكون من الإرصاد، وهو الأظهر، ويحتمل أنْ يكون من التّخيير؛ لأنّه يصلح أنْ يكون مكانه "من الغَنَم"، ويترجّح الأوّل بأنّ التّقليد في غير الغَنَم من النَّعَمِ متّفق عليه، ومختلف فيه في الغَنَم، والأشهر من مذهب مالك أنْ لا تُقلَّد لضعفها، مخافة أنْ تمسكها من قلادتها شجرة، فلا تقدر على خلاص نفسها فتموت، بخلاف الإبل والبقر(1). على أنّه ورد في بعض الآثار الصّحيحة تقليدها(2)، ولا يترجّح بأنّ اللّفظ خاص بالإبل لغةً، فإنّ الصّحيح لغةً عمومه في الجميع.

ولقائل أنْ يقول : يترجّح "من الغَنَم"؛ لأنّ فيه – مع ما تقدّم في التّفسير – إشارة إلى أنّه صار من الذلّة والضّعف – من أجل ما أحاط به

---

(1) انظر مواهب الجليل. الحطاب : 281/4.

(2) منها حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَفْتِلُ الْقَلَائِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقَلِّدُ الْغَنَمَ وَيُقِيمُ فِي أَهْلِهِ حَلَالًا. رواه البخاري في الحج. بَاب تَقْلِيدِ الْغَنَمِ.

من الآثام، وعدم القدرة على الفرار ممّا يستحقّه من العقاب - إلى حالة يشبه معها أضعف ما يُقلّد من الأنعام وهو الغَنَم.

وهذا ظاهرٌ حسنٌ، فإنّ الإبل والبقر قد تفرّ، وتعيش في الفيافي، فتنجو بذلك ممّا أُريد منها من النّحر أو الذّبح، ولذا لا تُلتقط ضالّة الإبل؛ لأنّ معها سقاءها وحذاءها، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**تَرِدُ المَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا**». والبقر لها أصل في التوحّش، وأمر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأكل الشّاة : «**فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ**»[1]. وبهذا التّقرير يضمحلّ قول بعضهم : «يترجّح "من النَّعَم"؛ لأنّ السّامع إنْ كان ذا عقل يعلم أنّ الغَنَم لا خصوصية لها في هذا التّشبيه، وأنّ العدول فيه عن ذِكر "النَّعَم" إليها عيٌّ ودخولٌ فيما لا يُحتاج إليه». انتهى.

وأتى بهذا الكلام استدلالاً على أنّ في البيت إرصادًا؛ إذ لا يصلح غير "النَّعَم".

وفي قوله : "أَطَعتُ غَيَّ" طباق خفيّ من وجهَين؛ أحدهما : أنّ الطّاعة رشدٌ، والغيّ ضدّه. الثّاني : أنّ الغيّ لا طاعة، فيكون من طباق السّلب. و"الغَيّ" و"الصِّبَا" من مراعاة النّظير، وكذا "الآثام" و"النّدم"، وجمعه "الآثام" و"النّدم" - وهما متعدّدان - في حُكم واحد - وهو أنّه ما حصل إلاّ عليهما - من الجمع، وكذا منه ذِكر "الحالتَين" بعد

(1) رواه البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ مرفوعا في العلم. بَاب الْغَضَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ. ورواه غيره.

ذكر "الشِّعرِ والخِدَمِ" إنْ كان المراد إيّاهما. وألفاظ "الخسارة" و"التّجارة" و"الشّراء" و"السَّوم" من مراعاة النّظير، وكذا هذه الألفاظ مع ألفاظ البيت بعده، ولا يبعد أنْ يكون جميعها من التّورية الفقهية، وكذا لفظ "الدّين" و"الدّنيا"، بل هذا من الطّباق؛ لأنّ الدّنيا ضدّ الدّين. وهذا البيت والّذي بعده من الكلام الجامع. وقوله : "لَم تَشتَرِ.." إلى آخره من المذهب الكلاميّ، ومن حسن التّعليل.

وقوله : "ومَن يَبعْ.." البيت؛ في بعض ألفاظه مراعاة النّظير في جمعه "الآجل" و"العاجل"، وكذا "البيع" و"السَّلَم". ولا يبعد أنْ يكون فيه الإرصاد. وفيه اللفّ والنّشر المعكوس؛ لرجوع "السَّلَم" إلى "الآجل"، و"البيع" إلى "العاجل". والبيت من الكلام الجامع، ولا يبعد كونه من المذهب الكلاميّ، كما لا يبعد أنْ يكون من المزاوجة، بل هو منها. وفي "يَبعْ" و"بَيْع" ردّ الصّدور على الأعجاز، وهما مِن تجنيس الاشتقاق، كما أنَّ "آجلاً" و"عاجلة" - إنْ لم تعتبر هاء التّأنيث - من التّجنيس المضارع، والظّاهر كون "السَّلَم" من الإرصاد.

الْإِعْرَابُ

مَن : اسم شرط، وهو مبتدأ، واختُلف في خبر اسم الشّرط المبتدأ، فقيل : «شرطه». وقيل : «جزاءه». وقيل : «هما»[1].

تَكُن : مضارع مجزوم بـ "مَن"، علامة جزمه سكون النّون، وأصله تكون، وحُذفت الواو لالتقاء السّاكنين، وحرف المضارعة منه إنْ كان تاء فاسم "تكن" "نصرته" وخبرها "برسول الله"، وإنْ كان بالياء فاسمها ضمير يعود على "مَن". ونصرته : مبتدأ، والخبر في المجرور أيضًا، و"نصرته" وخبره خبر "تكن". ويحتمل أنْ تكون "نصرته" بَدَل اشتمال من الضّمير، وجملة "تكن.." وما تعلّق بها - على التّقديرَين - خبر "مَن" إنْ قلنا خبره الشّرط، والرّابط الضّمير المضاف إليه "نصرة" إنْ جُعل اسمًا، وإنْ جُعل "نصرته" بدلاً أو مبتدأ، فالرّابط اسم "تكن"، وإنْ جُعل الخبر الجواب، فالرّابط المنصوب بـ "تَلْقَى"، ولك أنْ تجعل "نصرته" اسمها، وذُكِر لأنّه في معنى النّصر، أو لأنّ تأنيثه غير حقيقيّ، أو للفصل بينه وبين الفعل بالمجرور، ولك أنْ تجعل "تكن" تامّة و"برسول الله" متعلّق بها أو

---

(1) قال ابن هشام : «إِذا وَقع اسْم الشَّرْط مُبْتَدأ، فَهَل خَبره فعل الشَّرْط وَحده؛ لِأَنَّهُ اسْم تَامّ، وَفعل الشَّرْط مُشْتَمل على ضَمِيره؛ فقولك : مَن يَقُم. لَو لم يكن فِيهِ معنى الشَّرْط، لَكَانَ بِمَنْزِلَة قَوْلك : كلٌّ مِن النَّاس يقوم. أَو فعل الْجَواب؛ لِأَن الْفَائِدَة بِهِ تمت، ولالتزامهم عود ضَمير مِنْهُ إِلَيْهِ على الْأَصَح، وَلِأَن نَظِيره هُوَ الْخَبَر فِي قَوْلك : الَّذِي يأتيني فَلهُ دِرْهَم. أَو مجموعهما؛ لِأَن قَوْلك : مَن يَقُم أَقِم مَعَه، بِمَنْزِلَة قَوْلك : كلٌّ مِن النَّاس إِن يَقُم أَقِم مَعَه. وَالصَّحِيح الأول، وَإِنَّمَا توقفت الْفَائِدَة على الْجَواب من حَيْثُ التَّعَلُّق فَقَط، لَا من حَيْثُ الخبرية». انظر كتابه مغني اللبيب : ص 608.

بنصره، و"نصرته" فاعل. وإنْ : حرف شرط. تَلْقَهُ : مجزوم بـ "إنْ"، ومفعول، وعلامة الجزم حذف الألف، وأصله تلقاه. والأُسْد : فاعل.

في آجامها : في موضع نصب على الحال من "الأُسْد" أو من المفعول، أو يتعلّق بـ "تَلْقَى". قال القصّار : «وعلى هذا التّقدير، فلا محلّ له من الإعراب».

قلتُ : يعني مُقدَّرًا كما مرّ تأويلنا عليه في مثله، وإلاّ فهو في محلّ نصب على المفعول، كما في سائر المجرورات المتعلّقة بالظّاهر، ويجوز تعلّقه بـ "تَجِم"، أو يكون حالاً من فاعله.

وتَجِمِ : مضارع مجزوم في جواب "إنْ"، وأصله السّكون، وإنّما كُسر للقافية. و "إنْ" وجوابها جواب "مَن"، والأصل : فإنْ تلقه بالفاء، لكنّه حَذْفها ضرورة؛ نحو[1] :

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّـرُّ بِالشَّـرِّ عِنْـدَ اللهِ مِـثْلانِ

ولن : حرف ينصب المضارع ويخلصه للاستقبال، وهو بسيط، خلافاً للخليل في قوله إنّه مركّب من "لاَ" "أَنْ"، فحُذفت الهمزة تخفيفًا، ثمّ ألف لاجتماعها ساكنة مع النّون[2]. وتقديم معمول معمولها عليها في

(1) البيت في "الكتاب" لسيبويه لحسّان بن ثابت، وليس في ديوانِهِ.، ونسبه ابن هشام إلى ولدَهِ عبد الرّحمن بن حسّان. الأنصاري، ونُسِبَ إلى كعب بن مالك، وهو في ديوانِهِ. انظر البيت في الكتاب. سيبويه : 64/3. اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي. أبو العلاء المعري : ص 610.

(2) انظر العين. خليل بن إسحق : 350/8.

نحو "زَيْدًا لَنْ أَضْرِبَ" يردّ قوله[1]. وأُجيب : يحدث بالتّركيب ما لا يكون قبله. ورُدّ بأنّ المركّبَين إنْ ذهب معناهما الإفراديّ، فقد حدث ما لم يكن، وإنْ بقي لزم مراعاة أحكامه، و"لن" عند الخليل من هذا.

ترى : مضارع منصوب بـ "لن"، علامة نصبه فتحة مُقدَّرة في الألف. مِن : زائدة في المفعول لتنصيص العموم كما تقدّم في المعاني، وعبّر عنه بعضهم بتعميم النّفي.

وغير : بالخفض صفة لـ "وليّ" على لفظه، وبالنّصب صفة له على الموضع، أو حال من "وليّ"، وصحّ وقوعها من النّكرة؛ لأنّها بعد النّفي، هذا إنْ كانت "ترى" بصريّة، وإنْ كانت عِلميّة ونصبت "غير"، فهي المفعول الثّاني، وإنْ خفضت فهو محذوف؛ أيْ موجودًا.

والباء في "به" : سببيّة أو للمصاحبة؛ إمّا لذاته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في حقّ الصّحابة، وإمّا لسُنّته كما في حقّ غيرهم من المؤمنين.

"ولا مِن عدوّ.." إلى آخره : معطوف على "مِن وليّ"، فإعرابه كأعرابه، كلّ كلمة كنظيرتها.

ولا : زائدة لتأكيد النّفي.

وجملتا "ومَن تكن.." و"لن ترى.." : مستأنفتان.

فاعل "أحلّ" ضميره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أُمّته : مفعوله.

---

(1) قال ابن مالك : «وألزمه (أيْ خليل) سيبويه بأنّه لا خلاف في جواز تقديم معمول معمولها عليها نحو : زيدًا لن أضرب. فلو كان أصلها: "لا" "أنْ"، للزم تقديم ما في الصلة على الموصول، وهو ممتنع». انظر كتابه شرح التسهيل : 15/4.

في حرز : متعلّق بـ "أحلّ".
كاللّيث : حال من فاعل "أحلّ" ومفعوله معًا.
وفاعل "حلّ" ضمير "اللّيث".
و "مع" و"في أَجَم" متعلّقان بـ "حلّ"، وجملته حال من "اللّيث"، والعامل في محلّها العامل في محلّ "كاللّيث" أو التّشبيه.
كم : خبرية، وهي مفعول "جدّلت". وكلمات : فاعل "جدّلت".
ومِن جَدَلٍ : تمييز لـ "كَم"، وتمييز الخبرية غالبًا مجرور بإضافتها إليه، لا بـ "مِن" محذوفة، خلافًا للفرّاء، ويُنصبُ إنْ فُصِل تشبيهًا بمميّز الاستفهاميّة، وربّما نُصِب غير مفصول، وقد يجرّ بـ "من" كما هنا. قال في "**التّسهيل**" : «وقد يُجَرّ في الشِّعر مفصولاً بظرف أو جار ومجرور لا بجملة ولا بهما معًا»[1].
وفيه : متعلّق بـ "جَدِلٍ" أو بـ "جَدَّلَتْ"، وإعراب الشّطر الثّاني كإعراب الأوّل.
كفاك : فعل ماضٍ ومفعول.
وبالعِلم : فاعله، وزيادة الباء في فاعل "كفى" كثير، وقد تراه في مفعوله؛ نحو[2] :

فَكَفَى بِنا فَضلاً على مَنْ غَيْرنَا   حُـــبّ النَّبِـــيِّ مُحمَّـــدٍ إيَّانـــا

أيْ فكفانا.
في الأمّيّ : يتعلّق بـ "العِلم"، أو هو حال منه.

---

(1) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 124.
(2) قائله حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل لكعب بن مالك الأنصاري. انظر البيت في الكتاب. سيبويه : 105/2.

معجزة : تمييز "كفى"، وهو العامل فيه.

في الجاهلية : متعلّق بـ "معجزة"، أو بـ "كفى"، أو بَدَل من "في الأمِّيّ"؛ أيْ في عصر الجاهلية، أو حال من "الأمِّيّ"، أو من "العِلم".

والتّأديب : معطوف على "العلم"؛ إمّا بالخفض على موضعه، أو بالرّفع على محلّه.

وفي اليُتْم : متعلّق بـ "التّأديب"، والرّابط مع «أل» من "التّأديب" محذوف؛ أيْ فيه، أو هي نائبة عن الضّمير؛ أيْ تأديبه، ويجوز جَعل "في اليُتْم" حالاً من هذا الضّمير المُقدَّر.

بمديح : متعلّق بـ "خَدَمْتُهُ".

وجملة "أستقيل به" صفة لـ "مديح"، والرّابط ضمير "به"، والباء سببيَّة؛ أيْ بمديح أستقيلُ به أنا، ويحتمل كونها حالاً من فاعل "خَدَمْتُهُ". وذنوب عُمْر : مفعول ثانٍ بـ "أستقيل"، ومفعوله الأوّل محذوف؛ أيْ الله أو ربّي.

وجملة "مَضَى.." إلى آخره : صفة "عُمْر".

والعامل في "إذْ" "مضى" أو "خَدَمْتُهُ" أو "أَستقيلُ"، أو تُجعل حرف تعليل عند مَن يرى ذلك فيها، فلا تتعلّق بشيء، ويكون معناها : لأنّهما.

قَلَّدَانِيَ : فعل ماضٍ وفاعل وهو الألف، والياء مفعوله، والنّون للوقاية.

وما : موصولة، أو نكرة موصوفة، وهي مفعول "قَلَّدَانِيَ" الثّاني.

وعواقِبُهُ : مفعول لم يُسَمّ فاعله بـ "تُخشَى"، والهاء عائدة على "ما". وجملة "تُخشَى.." : صلة، أو صفة.

كأنّني : كأنّ واسمها. هَدْي : خبرها.

وبهما : حال من "هَذْي"؛ من نعت النّكرة المنتصب حالاً لتقدّمه، أو من اسم كأنّ، والعامل التّشبيه، أو يتعلّق بهما بالتّشبيه، والباء سببيّة على كلّ حال، ويجوز على تقدير الحال كونها للمصاحبة.

من النَّعَم : صفة "هَذْي"، و"من" للتّبعيض.

وجملة "أطعتُ.." : يحتمل أنْ تكون مفسّرة لـ "ذنوب"، أو مستأنفة. وغَيَّ : مفعول "أطعتُ".

وفي الحالَتَيْنِ : تقدّم متعلّقه في التّفسير.

وما : نافية، وهي وجملة "حَصَلْتُ.." معطوفة على جملة "أطعتُ..".

وإلاّ : إيجاب بعد النّفي.

وعلى الآثام : متعلّق بـ "حَصَلْتُ"، والاستثناء مفرغ.

فيا : الفاء عاطفة ما بعدها على جملة "أَطَعْتُ.."، ويا : حرف نداء المُتعجَّب منه، أو هي للنّدبة، فيكون "خسارة" مندوبًا، أو للتّنبيه، و"خسارة" : منصوب بفعل مضمر. ويا : يُستعمل في جميع وجوه النّداء للقريب والبعيد والمندوب والمستغاث.

في تجارتها : متعلّق بـ "خسارة".

وجملة "لم تَشْتَرِ.." : إنْ كانت "النّفس" مُعرّفة بالإضافة تفسير لـ "الخسارة"، فلا موضع لها، وإنْ كانت منكَّرَة فهي صفة لها.

والدّين : مفعول بـ "تَشْتَرِ".

وبالدّنيا : متعلّق به أيضًا. والباء للعِوض؛ نحو : اشْتَرَيتُ الفَرَسَ بِأَلْفٍ، وجعلها بعضهم للاستعانة؛ كَكَتَبْتُ بِالقَلَمِ، والتّاء في باب

الْإِشَارَاتُ

[نصرة الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتّباع سنّته]

لا تكون النّصرة برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلاّ باتّباع سُنّته، وترك كلّ ما جاء على خلاف شريعته، فمَن حصلت له هذه الرّتبة طارت قلوب العِدى من بأسه، واعتزّ في نفسه، ومن أعدائه سَلِم، وإنْ لقيه الأسَد في أَجَمته استخفى ووَجم.

واتّباع السُنّة عين تقوى الله، والحامل على التّقوى خوف الله، «وَمَنْ خَافَ اللهَ، أَخَافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ»[1]، فملاك الأمر اتّباع السُنّة، وبه يُظفر بالرّبح، والنُّجحُ في كلّ عمل، وتكمل المنّة والعمل القليل معها نافع، والكثير مع مخالفتها ضائع.

روى ابن المبارك بسنده عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - أنّه قال: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهَ عزّ وجلّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ، فَيُعذِّبَهُ اللَّهُ عزّ وجلّ أَبَدًا، وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهَ عزّ وجلّ فِي نَفْسِهِ، فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عزّ وجلّ، إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ قَدْ يَبِسَ وَرَقُهَا، فَهِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَتْهَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتَّ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، فَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ اللهِ وَسُنَّةٍ، فَانْظُرُوا أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ إِنْ كَانَ اجْتِهَادًا أَوِ اقْتِصَادًا أَنْ يَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم السَّلَامُ وَسُنَّتِهِمْ»[2].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) انظر الزهد. ابن المبارك : 21/2.

[اتّباع السُنَّة علامة الولاية]

وقوله : "وَلَنْ تَرَى.." البيت؛ لمّا كان علامة الانتصار برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - اتّباع سُنّته، لا جرم لا يُرى وليٌّ لله ولرسوله إلاّ منتصرًا به؛ أيْ متّبعًا سُنّته، ولا يُرى عدوٌّ لله ولرسوله إلاّ منقصماً عن السُنّة واتّباعها، فاتّباع السُنّة من علامات الولاية، كما أنّ مخالفتها من علامات العداوة.

قال ابن عطاء رحمه الله : «مَتَى جَعَلَكَ فِي الظَّاهِرِ مُمْتَثِلاً لأَمْرِهِ، وَرَزَقَكَ فِي البَاطِنِ الاسْتِسْلاَمَ لِقَهْرِهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ المِنَّةَ عَلَيْكَ»[1]. وفي بعض مناجاة موسى عليه السّلام : «يَا رَبِّ، أَخْبِرْنِي عَنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ». قال : «هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِيّ، الَّذِينَ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدِي، وَيَسْتَغْفِرُونِي بِالْأَسْحَارِ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرُوا بِي، وَإِذَا ذُكِرُوا ذُكِرْتُ بِهِمْ، الَّذِينَ يُنِيبُونَ إِلَى طَاعَتِي كَمَا تُنِيبُ النُّسُورُ إِلَى وُكُورِهَا، الَّذِينَ إِذَا اسْتُحِلَّتْ مَحَارِمِي غَضِبُوا كَمَا يَغْضَبُ النَّمِرُ إِذَا حَرِبَ»[2].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ**»[3]. وإلى هذا أشار ابن عطاء في حِكمه بقوله : «سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ على أَوْلِيَائِهِ إلاَّ مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوصِلْ إِلَيْهِمْ إلاَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ»[4].

---

(1) انظر الحكم العطائية بشرح ابن عباد النفري الرندي : ص 64.

(2) انظر الزهد. ابن المبارك : 71/1. رقم الأثر 216.

(3) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 72/1. رقم الحديث : 217.

(4) انظر الحكم العطائية بشرح ابن عباد النفري الرندي : ص 71.

[حفظ الله لأمّة الإسلام]

قوله : "أَحَلّ أُمّته.." البيت؛ أُمّته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - محفوظون محروزون من أنْ يستأصل العدوّ شأفتَهم، أو يستبيح بيضتهم؛ لدعائه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ألاّ يسلّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فهم في حرز المِلّة، كاللّيث الحالّ في أَجَمه مع أشباله، لا يقْدِر العدوّ أنْ يدخل على مجموعهم، وإنْ دخل على بعضهم، فذلك لعدم محافظته على السُّنّة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

ولمّا كانت الأمّة؛ لا تزال طائفة منها ظاهرة على الحقّ، حتّى يأتي أمر الله، منع الله استئصال جميعهم ببركة تلك الطّائفة، وبسببهم يدفع الله عن جميعهم : «لَوْلاَ شُيُوخٌ رُكَّعٌ..» الحديث[2].

قوله : "كم جدّلت.." البيت؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[3]. كم دفع الله عن المؤمنين أعاديهم بالسّيف تارة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[4]. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ..﴾ الآية[5].

---

(1) سورة الرعد : من الآية 11.

(2) سبق تخريجه.

(3) سورة الحج : الآية 38.

(4) سورة التوبة : من الآية 14.

(5) سورة آل عمران : من الآية 124. والآية بتمامها : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.

وبالحُجّة أخرى : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1]. ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[2]. ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[3].

قوله : "كَفَاكَ"؛ إنْ شككتَ في أنّ الله يدافع عن المؤمنين، ويختصّ مَن يشاء برحمته من عباده الصّالحين، فيكفيك معجزةً دالّة على إزاحة شكّكَ العِلمُ في الأمّيّ زمن الجاهلية، والتّأديب في اليُتْم.

---

(1) سورة التوبة : من الآية 33.

(2) سورة الأنعام : من الآية 83.

(3) سورة البقرة : من الآية 258.

[مدح الرسول عليه السلام هو حمد لله تعالى]

قوله : "خَدَمْتُهُ.." البيت؛ فإذا ثبت لك بالبرهان السّاطع والدّليل القاطع أنّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المخصوص من الله بالمنزلة الشّريفة والمرتبة المنيفة، فكيف لا تبذل مهجتك في مدح حبيب الله، والثّناء الجميل على صفيّ الله، مع ما ترجوه بذلك من تطهيرك من الآثام، وشفاعته فيك لنَيل دار السّلام، فواجب أنْ تخدمه بمديح تستقيل به ذنوب عُمْر مضى في الشّعر والخِدَمِ لغيره، فإنّ الحبيب يرضى بمدح حبيبه، ويغضب لمدح عدوّه، ولذا أمرنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ نحثي التّراب في وجوه المدّاحين[1]؛ الّذين يمدحون مَن لا يستحقّ المدح، ويقولون في الممدوح ما ليس فيه. وأمّا مدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومدح أوليائه، فذلك في الحقيقة مدح لله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[2]. ولا أحد أحبّ إليه المدح من الله، ولذلك مدح - تعالى وجلّ - نفسه، وحمْده - تعالى - من أَجَلّ القُرب الّتي يرضى بها جلّ جلاله.

وعن أنس سمعتُ عمر - رضي الله عنهما - يسلّم على رجل، فردّ عليه السّلام، فقال عمر للرّجل : «كَيْفَ أَنْتَ؟» فقال الرّجل :

---

(1) يقصد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا رَأَيْتُمْ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ». رواه مسلم عن عثمان بن عفان مرفوعا في الزهد والرقائق. بَاب النَّهْيِ عَنْ الْمَدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ. ورواه غيره.

(2) سورة النساء : من الآية 80.

«أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ». قال عمر : «هَذِهِ أَرَدْتُ مِنْكَ»[1]. وعن سعيد بن جبير : إِنّ أَوَّلَ مَا يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. أو قال : عَلَى كُلِّ حَالٍ[2].

وعن ابن عمر : «إِنْ كُنَّا لَعَلَّنَا نَلْتَقِي فِي اليَوْمِ مِرَارًا يَسْأَلُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَإِنْ نُرِيدُ بِذَلِكَ إِلاَّ الحَمْدَ للهِ»[3].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد : ص 387. رقم الأثر 1132. والأثر صحيح موقوفًا.

(2) رواه ابن أبي شيبة. انظر المصنف : 134/14. رقم الأثر 37164.

(3) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 68/1. رقم الحديث : 207.

[حفظ اللّسان]

ولمّا كان حالتا مدح النّاس وخدمتهم في غير طاعة تؤدّي إلى هذه المنزلة من الهلاك، لم ينبغِ أنْ تصدر إلاّ زمن الجهل كزمن غيّ الصِّبا، أو الجري على شاكلة ذلك الزّمان، وهي حالة لا يحصل مَن أطاعها ولم يعصها إلاّ على الآثام والنّدم، الّتي لا يسعى في تحصيلها إلاّ جاهل، لا سِيَّما جناية آثام اللّسان، والنّدم على المقالات الصّادرة، الّتي لا يمكن أنْ تُتلافى : «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(1). وعَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ(2) عن أبيه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ، فَاتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ عَلِمَ مَا يَقُولُ**»(3). وعن [سُفْيَانَ](4) بْنَ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ(5) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(1) رواه الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مرفوعا في الإيمان. بَاب مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ. وقَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه غيره.

(2) هو عُمر بن ذر بن عَبْد الله بْن زُرارة بْن مُعاوية، أَبُو ذر الهَمْدانيّ، المُرْهِبِيُّ، الكوفيُّ. كان إماما واعظا زاهدًا. توفي سنة ست وخمسين ومائة علَى الصحيح. انظر تاريخ الإسلام. الذهبي : 160/4.

(3) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 125/1.

(4) في نسخ المخطوط "سعيد" بدل "سفيان"، والصواب ما أثبته.

(5) هو سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَقِيلَ : ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَطِيطِ بْنِ عَمْرِو الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ. وَلِيَ الطَّائِفَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَلَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ. انظر تاريخ الإسلام. الذهبي : 412/2.

حَدِّثْنِي بأمر أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «**قُلْ : رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». **قُلْتُ** : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أخوف مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، فقَالَ : «**هَذَا**»[1].

وفي الصّحيح من حديث أبي هريرة أنّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[2].

وأخذ أبو بكر - رضي الله عنه - بلسانه، وقال : «هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ»[3]. وفعل ذلك ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قائلاً : «وَيْحَكَ، قُلْ خَيراً تَغْنَمْ، وأُسْكَتْ عَنْ سُوءٍ تَسْلَم». فقيل له، فقال : «بَلَغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ من جَسَدِهِ بِأَحْنَقَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4].

وسُئل مسروق عن بيت من شِعرٍ، فكرهه، وقال : «إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَجِدَ فِي صَحِيفَتِي شِعْرًا»[5].

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ : «الرَّجُلَ يَخْرُجُ.. وَمَعَهُ دِينُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، يَأْتِي الرَّجُلَ لَا يَمْلِكُ لَهُ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَيُقسِمُ لَهُ باللهِ إِنَّكَ لَذَيْتَ وَذَيْتَ، فَيَرْجِعُ وَمَا حَلِيَ مِنْ حَاجَتِهِ بِشَيْءٍ، وَقَدْ أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِ»[6]. وعنه أيضًا رضي الله عنه : «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ

---

(1) رواه الترمذي في الزهد. بَاب مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ. وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه غيره.

(2) رواه البخاري في الأدب. بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. ورواه غيره.

(3) رواه مالك في الموطأ في الجامع. بَاب مَا جَاءَ فِيمَا يُخَافُ مِنْ اللِّسَانِ.

(4) رواه أبو نعيم. انظر الحلية : 327/1.

(5) رواه النسائي في السنن الكبرى : 408/10. رقم الأثر : 11867.

(6) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 129/1. رقم الأثر : 382.

مِنَ اللِّسَانِ»[1].وعن الحسن : «كَانُوا يَقُولُونَ : لِسَان الْحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، والْجَاهِلَ قَلْبُهُ فِي طَرَفِ لِسَانِهِ لاَ يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، مَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ بِهِ»[2].

وعن مكحول[3] قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَا تَكُونُوا عَيَّابِينَ، وَلَا مَدَّاحِينَ، وَلَا طَعَّانِينَ، وَلَا مُتَمَاوِتِينَ**»[4]. قال ابن المبارك : «يعني المرائين»[5].

فمَن عدل عن النّطق بما ينبغي إلى ما لا يُحتاج إليه من الفضول، وأحرى إنْ كان من المعاصي، فما أحقّه أنْ يندب خسارة نفسٍ - أو نفسه - في خسارة تجارتها، ويتعجّب من تركها الأخرويّ النّافع، وأخذها الدّنيويّ الضّار، فما أشدّ غَبْن مَن باع الآجل من الآخرة بالعاجل من الدّنيا في بَيْعه وفي سَلَمه.

---

(1) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 129/1. رقم الأثر : 384.

(2) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 131/1. رقم الأثر : 390.

(3) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله (..- 112هـ =..- 730 م). فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكابل، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرا من البلدان، واستقر في دمشق. وتوفى بها. انظر الأعلام. الزركلي : 204/7.

(4) رواه ابن المبارك. انظر الزهد : 132/1.

(5) هذه الزيادة من ابن المبارك غير واردة في متن كتاب الزهد بعد الأثر الذي قبله، وأثبت حبيب الرحمن الأعضمي محقق كتاب الزهد في الهامش رقم 5 أنّ هناك زيادة في النسخة ك، وهي : قال ابن المبارك : «يعني المرائين». ويظهر أنّ هذه النسخة موافقة للنسخة التي نقل منها ابن مرزوق القول.

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِـنَ النَّبِـيِّ وَلاَ حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ

فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي مُحمَّدَاً وَهُوَ أَوفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

إِنْ لَمْ يكُنْ فِي مَعَادِي آخِذَاً بِيَدِي فَضْـلاً وَإِلاَّ فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ

حَاشَـاهُ أَنْ يَحْـرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَـه أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُنْذُ أَلْزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَدَائِحَـه وَجَدْتُـهُ لِخَلاَصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَدَاً تَرِبَتْ إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ

وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الـدُّنْيَا الَّتِي قَطَفَتْ يَـدَا زُهَيْـرٍ بِمَـا أَثْنَـى عَلَـى هَـرِمِ

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِه سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الكَـرِيمُ تَحَلَّـى بِاسْـمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَـرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَـمِ

شَرْحُ الغَرِيْبِ

آت : مضارع أَتَى يَأْتِي أَتْيًا؛ أيْ جاء، وأَتَوْتهُ أَتْوَةً لغة. والإتْيانُ : المجيء. وتقدّمت المادّة. والذّنب : تقدّم.

"**ويَسْعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ**"[1]». وأَذَمَّهُ : أجارَه. وأخذتني منه مَذَمَّةٌ بفتح الدّال وكسرها، أيْ رِقّةٌ وعارٌ من تركِ الحُرْمَةِ. وأَذْهِبَ مَذَمَّتَهُمْ بشيءٍ؛ أيْ أعطِهم شيئاً فإنَّ لهم ذِماماً. وفي الحديث : «**مَا يُذْهِبُ عَنِّي مَذَمَّةَ الرَّضَاعِ؟ فقَالَ : غُرَّةٌ : عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ**»[2]؛ يعنى ذِمَام المرضعة. قال النّخعي: «كانوا يستحبون عند فصال الصبيّ أنْ يأمروا للظِئر بشيء سوى الأجر». وتذمَّمَ : استنكَفَ. يُقال : لو لم أتركِ الكذبَ تأثُّماً لتركته تَذَمُّماً[3].

التّسْميَة : مصدر سَمّاه يُسمّيه؛ أيْ جعل له اسماً، وهي تطلب مفعولَين، والثّاني منهما قد يكون بحرف الجرّ، تقول : سمّيته زيدًا أو بزيد. وأَسْمَيْتُهُ مثله، فَتَسَمَّى به، وهو سَمِيُّه : وافق اسْمُه اسْمَه، ومثله كَنِيُّهُ. و : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[4]؛ أيْ نظيراً يستحقُّ مثلَ اسْمِه. ويُقال : مُسَامِياً يُسَامِيه.

والاسم عند الكوفيين مشتقّ من السِّمَة، وهي العلامة؛ لأنّ الاسْم علامة على المُسَمَّى، وهو واويّ الفاء. وعند البصريين من السُّمُوّ، وهو الارتفاع؛ لأنّ الاسم يرفع المُسَمَّى بزوال الإشكال عنه، وهو محذوف اللاّم عندهم، وهي واو، ووزنه إِفْعٌ. ومذهب الكوفيين ظاهرٌ في المعنى، بعيدٌ من جهة التّصريف، ومذهب البصريين بالعكس؛ لأنّهم قالوا في

---

(1) رواه ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مرفوعا في الديات. بَاب الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. ورواه غيره. والحديث صحيح.

(2) رواه الترمذي عَنْ حَجَّاجٍ الْأَسْلَمِيِّ مرفوعا في الرضاع. بَاب مَا جَاءَ مَا يُذْهِبُ مَذَمَّةَ الرَّضَاعِ. قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه غيره.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1925/5. مادة ذمم.

(4) سورة مريم : من الآية 65.

حرفيتها، مستدلاً بأنّها لو كانت فعلاً، لجاز كونها صلة لـ "ما"؛ كَخَلاَ.
وقال المبرّد : «قد تكون فعلاً، ومنه : ولاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أحَدِ[1]». فتصرُّفه يدلّ على فعليته، ولأنّه يُقال : حَاشَا لزيد، وحرف الجرّ لا يدخل على مثله، ولأنّ الحذف يدخلها ولا يدخل الحروف، بل الاسم أو الفعل[2].

وقال في "**التّسهيل**" : «وإنْ وَلِيَها مجرور باللاّم لم تتعيّن فعليتها، خلافاً للمبرّد، بل اسميتها؛ لجواز تنوينها، وكثُر فيها حَاشَا، وقلَّ حَشَا وحَاشَ. وربّما قيل : ما حَاشَا. وليس أُحَاشِي مضارع حَاشَا المستثنَى بها، خلافاً للمبرّد»[3]. انتهى.

حرَمْتُ الرّجل الشّيء : أيْ منعته إيّاه، وأحْرَمْتُهُ أيضًا لغة فيه، قال الأعشى[4] :

وأُنْبِئْتُها أَحْرَمَتْ قَوْمَها   لِتَنْكِحَ في مَعْشَرٍ آخَرينا

أيْ : حَرَمَت قومَها نفسَها.

وقال الجوهريّ : «حَرَمَهُ الشَّيءَ يَحْرِمُهُ حَرِماً؛ كسرقه سرِقاً بكسر الرّاء، وحِرْمَةً وحَرِيمَة وحِرْمَاناً، وأَحْرَمَهُ أيضاً؛ إذا منعَه إيّاه. والحَرِمُ أيضاً بكسر الرّاء : الحِرْمَانُ، ومنه قوله : لاَ غَائِبٌ مالي ولا

---

(1) هو من قول النّابغة، وسبق توثيقه، والبيت بتمامه :

ولا أرى فاعلاً، في النّاس، يشبهه   ولا أُحاشي، من الأقوام من أحَدِ

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2313/6. مادة حشا.

(3) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 105.

(4) انظر البيت في الصحاح. الجوهري : 1897/5.

حَرِمُ[1]. وأحْرَمَ : دخل في حُرْمَةٍ لا تُهْتَكُ. والحَرْم : المنع»[2]. والمادّة - مع طولها - تدور مع المنع.

الرَّاجِي : اسم فاعل من رَجَا يَرْجُو؛ إذا أمل. والرَجاءُ من الأمل ممدود؛ يُقال : رَجَوْتُه أَرْجُوه رَجْواً ورَجَاءً ورَجَاوَةً. وما أتيتُك إلاّ رَجَاوَةَ الخير. وتَرَجَّيْتُهُ وَارْتَجَيْتُهُ ورَجَّيْتُهُ كلّه بمعنى رَجَوْتُهُ. ومالي في فلان رَجِيَّةٌ، أيْ ما أرْجوهُ[3].

مَكَارِم : جمع مَكْرُمَةُ. وأرضٌ مَكْرَمَةٌ للنّبات؛ إذا كانت جيِّدة النّبات. وقال الكسائي : «المَكْرُمُ والمَكْرُمَةُ. ولم يجئ على مَفْعُل للمذكّر إلاّ حرفان : مَكْرُم ومَعْوُن». وقال الفَرَّاء : «الّذي جاء منهما هو جمع مَكْرُمَة ومَعْوُنَة، ومُفْعَل ليس من أبنية الكلام»[4]. وبالجملة فالكَرَم نقيض اللّؤم. وتقدّمت المادّة.

رَجَعَ : يَرجِع؛ إذا انصرف عمّا كان متوجّهاً إليه. قال الجوهريّ : «رَجَعَ بنفسه رُجوعاً، ورَجَعَهُ غيرهُ. وهُذَيْلٌ تقول : أَرْجَعَهُ غيرهُ. وهو قوله تعالى : ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾[5]؛ أيْ يتلاومون. والرُجْعَى : الرُّجُوعُ، وكذا المَرْجِعُ؛ ومنه : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ

---

(1) هو من قول زُهير، والبيت بتمامه :

وإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ　يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

انظر البيت في الصحاح. الجوهري : 1688/4.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1895/5. مادة حرم.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2352/6. مادة رجا.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 2019/5. مادة كرم.

(5) سورة سبأ : من الآية 31.

رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ ﴾[1]. وهو شاذٌّ؛ لأنَّ قياس مصدر "فَعَلَ يَفْعِلُ" الفتح. ويؤمن بالرَجْعَةِ؛ أيْ بالرُّجُوعِ إلى الدُنيا بعد الموت»[2]. والمادّة طويلة.

الجار : لفظ مشترك تقدّم بعض مدلوله في أوّل البيت من هذا القصيد. والمراد به هنا: الّذي أُجير من أنْ يظلمه ظالم، على أنّه لا يبعُد أنْ يريد ما هو أعمّ من ذلك ومن المُجَاوِر في المنزل، فإنّ حَقّ الجَار والحماية عنه معروفة قديماً وحديثاً، ولا سِيَّما شرعًا؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَا زَالَ جِبْرِيل يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْت أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[3]. وقال تعالى وجلّ : ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[4]. ومن المعنى الأوّل قول الهُذليّ[5] :

وكنتُ إذا جَاري دَعا لمضُوفةٍ أشمِّر حتَّى يَنْصُفَ السّاقَ مِئْزَري

ومنه : ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ .. ﴾ الآية[6]. واسْتَجَارَهُ من فلان فَأَجَارَهُ منه. وأَجَارَهُ الله من العذاب : أنقَذَه[7].

ومُحْتَرَمِ : اسم مفعول من احْتَرَمَهُ، وهو من الحُرْمَة : وهي ما لا يحلُّ انتهاكه. وكذلك المَحْرَمَةُ، بفتح الرّاء وضمها. وقد تَحَرَّمَ بصُحبته. وحُرْمَةُ الرّجل : حَرَمُهُ وأهله[8]. وتقدّمت المادّة.

---

(1) سورة الأنعام : من الآية 164.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1216/3. مادة رجع.

(3) سبق تخريجه.

(4) سورة النساء : من الآية 36.

(5) انظر البيت في الصحاح. الجوهري : 618/2.

(6) سورة التوبة : من الآية 6.

(7) انظر الصحاح. الجوهري : 617/2. مادة جور.

(8) انظر الصحاح. الجوهري : 1895/5. مادة حرم.

مُنذُ : مبنيّ على الضمّ، و"مُذْ" على السّكون. ويكونان حرفَي جرّ بمعنى "في"، فيُجرّ ما بعدهما، ولا يكون إلاّ زماناً أنت فيه؛ نحو : ما رأيته مُنْذُ اللّيلةِ. ويكونان اسمَين، فيُرفع ما بعدهما على التّأريخ؛ نحو : ما رأيته مُذْ يومُ الجمعة؛ أيْ أوّل انقطاع الرّؤية يوم الجمعة، أو على التّوقيت؛ نحو : ما رأيته مُنْذُ سَنة؛ أيْ أمد ذلك سَنة، ولا تقول : مُنْذُ سَنة كذا؛ لأنّه لا يقع هنا إلاّ نكرة. وقال سيبويه : «"مُنْذُ" للزّمانِ نظيرُه "مِنْ" للمكان، وناسٌ يقولون إنّ "مُنْذُ" في الأَصل كلمتانِ : "مِنْ" "إِذْ"؛ جُعِلتا واحدةً، وهذا لا دليلَ على صِحَّته». هذا نَقل الجوهري[1]. وقال الأستاذ القصّار : «والغالب على "مُذْ" الاسميّة، وعلى "مُنْذُ" الحرفيّة».

قلتُ : ولم أرَ هذا النّقل لغيره.

قال : «ولا يكون ما بعدها إلاّ زماناً؛ إمّا لفظًا كما مثّل، أو تقديرًا؛ نحو : مُذْ قام أخوه، أو مُنْذُ زيد أمير؛ أيْ زمن قام، وزمن زيد، فإنْ كان اسم الزّمان معهما حالاً، فهما للغاية، ولا بدَّ من جرّه؛ نحو : مُذْ عامنا. وإنْ كان ماضياً معدودًا، فهما للغاية، ويُجرّ ويُرفع؛ نحو : مُذْ يومان ويومَين؛ أيْ أمد انقطاع الرّؤية يومان، وإنْ كان الماضي غير معدود معرفة، فهما لابتداء الغاية؛ نحو : مُذْ يوم الجمعة؛ أيْ أوّل انقطاع الرّؤية يوم الجمعة، ولا يقعان أوّل الكلام، حتّى تقول : ما رأيته أو نحوه، فإنْ كان الكلام المتقدّم منفيًا، فلا بدّ أنْ يكون ماضيًا، وإنْ كان موجبًا، زِدتَ مع كونه ماضيًا أنْ يكون متطاولاً ممتدًّا زمانه؛ نحو : وجدته صالحًا مُذْ

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 570/2. مادة منذ.

رأيته، ولا تقل : قتلت زيدًا مُذْ رأيته. قال أبو الحسن[1] : لو قلتَ : رأيته مُذْ يوم الجمعة، وأنتَ تعني : رأيته يوم الجمعة، ثمّ انقطعت الرّؤية إلى وقت إخبارك، لم يجز؛ لأنّ هذا التّركيب في مثل : وجدته عالماً مُذْ رأيته؛ معناه : وجدته عالماً أوّل زمن الرّؤية إلى وقت الإخبار، وهو وقت ممتدّ، ووجودك له ممتدّ مثله، وإذا قلتَ : رأيته مُذْ يوم الجمعة، والرّؤية منقطعة عمّا بعد يوم الجمعة، كان كذباً». انتهى.

وفي "التّسهيل" : «إنّ "مُنْذُ" أصل "مُذْ"، وقد تُكسر ميمهما، ويُضافان إلى جملة مصرّح بجزئيها، أو محذوف فعلها بشرط كون الفاعل وقتاً يُجاب به "متى" أو "كم"، وقد يَجُرَّان الوقت، أو ما يُستفهم به عنه حرفَين بمعنى "مِن" إنْ صلح جوابًا لـ "متى"، وإلاّ فبمعنى "في"، أو بمعنى "مِن" و "إلى" معًا، وقد يُغني عن جواب "متى" في الحالَين مصدر معيّن الزّمان، أو إنْ وصلتها، وليسا قبل المرفوع مبتدأَين بل ظرفَين، خلافاً للبصريّين، وسكون ذال "مُذْ" قبل متحرّك أعرف من ضمّها، وضمّها قبل ساكن أعرف من كسرها»[2]. انتهى.

وإنّما أتينا بنصّه لجمعه فروع الكلمتين باختصار، فقول النّاظم : "ومُنذُ أَلَزَمْتُ" فيه حذف اسم زمان مضافاً إلى الجملة الفعليّة، والعامل في "مُنْذُ" "وجدتُ"، فهو متقدّم في التّقدير، وهو من الماضي المتطاول؛ أيْ وجدته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لخلاصي خير ملتزم مُنْذ زمان ألزمتُ أفكاري مدائحه، وهي لابتداء الغاية؛ لأنّها مع الزّمن المعيّن غير

(1) هو الأخفش الأوسط، وسبقت ترجمته.

(2) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 94.

ليس فيه حاجة. قال : "والفتح فيه أفصح من الكسر". وأَفْكَرَ في الشّيء، وفَكَّرَ فيه وتَفَكَّرَ بمعنًى. ورجلٌ فِكِّيرٌ : كثيرُ التَفَكُّر؛ كفِسِّيق»[1].

قلتُ : وقال الأصوليّون في حدّ النّظر : «هو الفكر الّذي يُطلب به عِلم أو ظنّ»[2]. ولك أنْ تعكس لتساويهما؛ فإنّ الحدّ في المعنى من حيث الجملة هو المحدود، فتقول : الفكر : "هو النّظر الّذي يُطلب به علم أو ظنّ". وفيه نظر؛ لأنّه على هذا التّقدير قد يُقال : إنّه من التّعريف بالمساوي الّذي يُجتنب في التّعريفات.

المَدَائِح : جمع مَدِيح، وهو قليل في باب "فَعِيل"، وبابه "فَعِيلَة"، والمَديحُ، والمِدْحَةُ، والمَدْحُ : الثّناء الحسن. وكذا الأمْدوحَةُ؛ قال[3] :

لَوْ كَان مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشِراً أحداً   أحْيا أباكُنَّ يا ليلى الأماديحُ[4]

وتقدّمت المادّة. وَجَدَ مطلوبه يَجِدُهُ بكسر الجيم وضمّها لغة عامريّة[5] لا نظير لها في باب المثال؛ ومنه[6] :

لَوْ شِئْتِ قد نَقَعَ الفُؤَادُ بشَرْبةٍ   تَدَعُ الحوائمَ لا يَجُدْنَ غَليلا

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 783/2. مادة فكر.

(2) انظر رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. السبكي : 255/1.

(3) هو أبو ذؤيب الهذلي.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 403/1. مادة مدح. والبيت هو لأبي ذؤيب.

(5) أي نسبة لقبيلة بني عامر؛ إحدى قبائل العرب

(6) صاحب هذا البيت هو جرير، وقد ينسب خطأً للبيد بن ربيعة العامري كما في الصحاح. الجوهري : 547/2. انظر البيت في لسان العرب. ابن منظور : 361/8. ويروى "الصَّوادِيَ" بدل الحوائمَ.

الأَكَم - بفتح الكاف - جمع أكَمَة : وهي الرّبوة. وقال بعضهم : «الجبال الصّغار». وقال الجوهريّ : «الأكَمَةُ معروفة، والجمع أَكَمَاتٌ وأكَمٌ، وجمع الأكَمِ إِكَامٌ؛ كجبل وجبال. وجمع الإكَامِ أُكُمٌ؛ ككتاب وكتُب. وجمع الأُكُمِ آكَامٌ؛ كعُنق وأعناق. والمَأْكَمَةُ : العَجيزَةُ، والجمع المَآكِم»[1].

أُرِد : مضارع أَرَادَ، وأصله أُرِيدُ، سُكّن الدّال للجزم، ثمّ حُذفت الياء لالتقاء السّاكنين. والإِرَادَةُ : المشيئة. وأصله الواو لقولك : رَاوَدَهُ، إلاّ أنّ الواو سُكّنت فنُقلت حركتها لِما قبلها، فقُلبت في الماضي ألفًا وفي المستقبل ياءً، وسقطت في المصدر لمجاورتها الألف السّاكنة، وعُوّض منها الهاء في آخره. وتقدّم شيء من المادّة. **زَهْرَة والدّنيا** : تقدّما.

قطَفَتْ : معناه قطعت، ومنه قَطَفْتُ العنبَ قَطْفاً. والقِطْفُ بالكسر: العنقود، وبجمعه جاء القرآن : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[2]. والقِطَافُ والقَطَافُ : وقتُ القَطْفِ. والقُطَافَةُ بالضمّ : ما يسقط من العنب إذا قُطِفَ، كالجُرامة من التّمر. وأَقْطَفَ الكَرْمُ : دنا قِطَافُهُ. وأَقْطَفَ القومُ : حان قِطَاف كرومهم. والقَطْفُ : نباتٌ رَخْصٌ عريض الورق، الواحدةُ قَطْفَةٌ، يُقال له بالفارسية سَرْنَكْ. وقَطَفَهُ يَقْطِفُهُ : خَدَشه[3].

زُهَيْر بن أبي سُلْمَى بضمّ السّين، واسم أبي سُلْمَى رَبِيعَةُ بْنِ رَيَاحٍ المُزَنِيُّ، شاعر مُجيد من فحول شعراء العرب، وهو أحد الشّعراء السِتّة[4]،

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1862/5. مادة أكم.

(2) سورة الحاقة : الآية 23.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1417/4. مادة قطف.

(4) الشعراء الستة الجاهليون هم : امرئ القيس، والنابغة، وزهير، وطرفة، وعنترة، وعلقمة.

وهو أبو كَعْب ويَحْيَى ابنا زُهَيْر الصّحابيّين رضي الله عنهما، وابنه كعب هو القائل يمدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بَانَتْ سُعَاد" القصيدة المشهورة[1]، والشِّعر فيهم وراثة. وكان زُهَير يمدح هَرَم بنَ سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ المُرّي، وكان يصلة بالصّلات الجزيلة، ومن مدحه له قوله من قصيدة أوّلها[2] :

قِفْ بالدّيار الّتي لم يعفها القِدَمُ بلى وغيّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

وفيها :

إنَّ البَخِيلَ مُلَوَّمٌ حيثُ كانَ ولـ ـكِنَّ الجَوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ

هو الجوادُ الّذي يُعْطِيكَ نائِلَهُ عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْياناً فيَظَّلِمُ

وإِنْ أَتاهُ خَلِيلٌ يومَ مسألة يقُولُ لا غائِبٌ مالِي ولا حَرِمُ

وله فيه قصائد شتّى، كلّها فائقة.

وأَثْنَى : أيْ مدح. يُقال : أَثْنَى عليه خيرًا. والاسم الثَّنَاءُ[3].

وقال بعضهم[4] : «الثَّنَاءُ يَكُونُ بِالخَيْرِ وَالشَرّ، والأَكْثَرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الخَيْرِ. والنَّثَا – بتقديم النّون – في الشرّ».

---

(1) مطلع القصيدة : بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيّمٌ إثْرها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

انظر الأبيات في جمهرة أشعار العرب. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : ص 632 وما بعدها.

(2) انظر الأبيات في ديوانه : ص 113 وما بعدها.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2296/6. مادة ثني.

(4) هو أَبُو أَحْمد الْحسن بن عبدت الله بن سعيد، نقله عنه أبو هلال العسكري، لكنه تعقبه بقوله : «وَالصَّحِيح عندنَا أَن النثا هُوَ بسط القَوْل فِي مدح الرجل أَو ذمّة.. والثَّناء بِالْمدِّ لَا يكون إِلَّا فِي الْخَيْر، وَرُبمَا اسْتعْمل فِي الشَّرّ». انظر الفروق في اللغة : ص 51.

أَكْرَم والخَلْق : تقدّما.

أَلْوذُ : ألجأ وأطوف. لاذَ به يلُوذُ لِواذاً ولِياذاً؛ أيْ لجأ إليه وعاذَ به؛ أيْ أطاف به. واللِّيَاذُ مصدر لاَوَذَ يُلاَوِذُ؛ أيْ تستّر. واللَوْذُ أيضاً : جانب الجبل وما يُطيف به، والجمع أَلْوَاذٌ. ولاَوَذَ القومُ مُلاَوَذَةً ولِوَاذاً : لاذَ بعضُهم ببعض. ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾[1]. ولو كان من لاَذَ، لقيل : لِياذاً[2].

وسِواَكَ : بكسر السّين وضمّها، وفيها لغة أخرى فتح السّين والمدّ، وحكى بعضهم كسرها والمدّ، وهي بمعنى غيرَ، يُستثنى بها، إلاّ أنّها عند سيبويه لازمة النّصب على الظّرفية، ورأى ابن مالك أنّها تتصرّف بوجوه الإعراب، وأنّ ذلك الأصحّ فيها، وأتى على ذلك بأدلّة وشواهد[3].

وعِنْدَ : قال في "**التّسهيل**" : «للحضور أو القرب حِسًا ومَعنًى»[4].

---

(1) سورة النور : من الآية 63.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 570/2. مادة لوذ.

(3) هذه الشواهد هي :

كقول أبي دواد : وكلُّ مَن ظنَّ أنَّ الموتَ مُخطِئُه   معلَّلٌ بسواء الحقِ مَكْذُوبُ

وكقول الآخر : أأترُكُ ليلى ليسَ بيني وبينها   سوى ليلةٍ إنّي إذَنْ لصَبُورُ

وكقول الآخر : ولديك كفيلٌ بالمنى لمؤمِّلٍ   وإن سواكَ مَن يُؤَمِّلُه يَشْقَى

وكقول الآخر : وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترَى   فسواك بائِعُها وأنت المُشتري

وكقول الآخر : ذِكْرك اللهَ عند ذكرِ سواه   صارفٌ عن فؤادِك الغفلاتِ

انظر شرح التسهيل. ابن مالك : 315/3.

(4) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 97.

وقال الجوهريّ : «وأمّا عِنْدَ؛ فحضور الشّيء ودنوُّه. وعَيْنُها بالحركات الثّلاث، والكسر أكثر، وتُستعمل ظرف زمان أو مكان بحسب ما تُضاف إليه؛ نحو : عند اللّيل وعند المسجد، إلاّ أنّها ظرف غير متمكِّن، لا تُستعمل غير ظرف إلاّ بالجرّ بـ "مِنْ"، وقد يُغرى بها، فتقول : عِنْدَكَ؛ أيْ خُذْ»[1].

وهي في النّظم ظرف زمان؛ أيْ عند وقت حلول.

والحُلُول : النُّزول. وتقدّم.

والحَادِثُ : الواقع؛ أيْ ما كان وجوده مسبوقًا بعدمه. قيل : «وأراد به هَوْل المحشر».

قلتُ : والظّاهر أنّه أراد به كلّ هول واقع في الدّنيا والآخرة.

والحُدوثُ : كون شيءٍ لم يكن. وأَحْدَثَهُ الله فَحَدَثَ. وحَدَثَ أمرٌ؛ أيْ وقع. والحَدَثُ والحُدْثى والحادثةُ والحَدَثانُ، كلُّه بمعنًى[2].

العَمِمِ : الظّاهر أنّه بكسر الميم؛ اسم فاعل من عَمَّ الشّيء عَمَمًا؛ إذا طال، وأصله عمِمَ؛ كفرِح. حكى صاحب "**الأفعال**"[3] : «عَمَّتِ النّخلة وغيرها عَمَمًا؛ إذا طالت»[4].

فمعنى الحادِث العَمِمِ؛ أيْ الطّويل زمانه، الشّديد كَرْبه وشأنه.

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 512/2. مادة عند.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 278/1. مادة حدث.

(3) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية.

(4) انظر تهذيب كتاب الأفعال. ابن القطاع : 134/2.

فإنْ قلتَ : حكى صاحب "**مختصر العين**"[1] : «العَمِيمُ : الطّويل من الرّجال والنّبات، والجمع العُمُم، والعُمُّ : الطِّوالُ من النّخل»[2]. انتهى.

وقال الجوهريّ : «شيءٌ عَميمٌ؛ أيْ طويل، والجمع عُمُمٌ؛ كسَرِير وسُرُر»[3]. فهل في هذا دليل على أنّ فعله "فعُل" بالضمّ؟ فلا يصحّ ما ذكرته من أنّه بالكسر، حتّى يكون الوصف منه بالكسر أيضا.

قلتُ : لا؛ لأنّ "فَعِيلاً" ورد في الوصف من "فَعِل" المكسور اللاّم. ذكره في "**التّسهيل**"[4]. نحو : حَزِنَ فهو حَزِين، ومَرِضَ فهو مَرِيض. وفي بعض الشّروح : «زعم بعضهم أنّ الّذي في البيت "العَمَم" بفتح الميم، وأنّه من العُمُوم». أيْ ما لي سِواك عند حُلول الحادِث الّذي يَعُمُّ جميع الخَلق. قال ذلك الشّارح : «وهذا وإنْ كان يتمعنى، لكنّ الرّواية العَمَم بفتح الميم، والعَمَم هذا هو الطّويل، وكأنّه يقول : الحادِث الّذي يطول أمره».

قلتُ : اتّفقا على فتح الميم، واختلفا في التّفسير، وتفسير الثّاني أقرب إلى نصوص اللّغويّين، إلاّ أنّ ادّعاءه فتح الميم بعيدٌ، ولا يصحّ، إلاّ أنْ يكون من الوصف بالمصدر مبالغة على التّأويلات الثّلاث في مثله. ومن المادّة اعْتمّ النّبت : اكتهلَ. ويُقال للشّابّ إذا طال : قد اعْتَمّ. واستوى على عُمُمِهِ؛ أيْ تمام جسمه وشبابه وماله. ونخلةٌ عَمِيمَةٌ، ونخيلٌ عُمٌّ؛ أيْ طِوال. وامرأةٌ عَمِيمَةٌ : تامّة القوام والخَلْق[5].

---

(1) هو محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج "الزبيدي" المتوفي سنة 379هـ.

(2) انظر كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي : 94/1. باب العين والميم.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1991/5. مادة عمم.

(4) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 196.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 1991/5. مادة عمم.

ولَن يَضِيقَ : أيْ ليس لا يسعني جاهك، بل يسعني. قال الجوهريّ: «وقد ضاق عنك الشّيء. يُقال : لا يسعني شيءٌ ويَضيقُ عنك. وضِقْتُ به ذرعاً؛ أيْ ضاقَ ذرعي به. وتَضايَقَ القوم؛ أيْ لم يتَّسعوا في خُلُقٍ أو مكان. وضاقَ الرّجل : بَخَلَ. وأضاقَ : ذهبَ مالُه. وضَيَّقْتُ عليك الموضع. وضّاقَ الشّيء يَضيقُ ضَيْقاً وضِيقاً. والضَيْقُ أيضاً : تخفيف الضَيّق. والضُوقىَ والضِيقَى : تأنيث الأضْيَق. قُلِبت الواو ياءً لسكونها وضمّ ما قبلها»[1].

الجَاهُ : القَدْر والمنزلة. وفلان ذو جاهٍ. وأَوْجَهْتُهُ ووَجَّهْتُهُ : جعلته وَجِيهاً[2].

الكَرِيم : من أسمائه جلّ جلاله. قيل : «معناه ذو الجود»؛ فيكون من أسماء الأفعال. وقيل : «معناه العليّ. والعرب تسمّي الشّيء النّفيس الخطير كَرِيمًا». قالوا : «فيكون من صفات الذّات». وقالوا في تفسير العليّ : «هو استحقاقه - سبحانه وتعالى - لنُعُوت الجلال، ولم يزل - تعالى وجلّ - عَالِيًا عَلِيًا من الآفات والنّقائص بَرِيئًا». وقال أبو حامد : «هو الّذي إذا قَدَرَ عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولا لِمَن أعطى، وإذا رُفِعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جُفِي عاتب وما استقصى، ولا يضيع مَن لاذ به والتجأ،

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1510/4. مادة ضيق.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2231/6. مادة جوه.

ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمَن اجتمع له ذلك لا بالتكلف، فهو الكريم المطلق، وذلك لله - تعالى وجلّ - فقط»[1]. وفيه أقوال أُخَر.

تَحَلّى تحْلِية : أيْ اتّصف. وحِلْيَةُ الرّجل صفته، ويقرب منه حِلْيَةُ السّيف. وجمعها حُلَي بالضمّ والكسر؛ كلِحية ولُحى[2].

والتّحْلِيَة في حقّه تعالى يستحيل أنْ تكون كما هي في حقّ البشر؛ لأنّ تحدّد الصّفة في حقّه جلّ وعزّ محال، والمعنى إذًا : الكريم أظهر الانتقام، كما سيأتي تمام تقريره في التّفسير إنْ شاء الله تعالى.

وقال الأستاذ القصّار : «المعنى : إذا الكريم أوقع مُسَمَّى الانتقام بمَن شاء من خلقه؛ أيْ مدلول الانتقام. والاسم هنا المُسَمَّى». انتهى. وسترى ما فيه من البحث إنْ شاء الله تعالى.

وقوله : "بِاسْمِ"؛ أيْ بمُسَمًّى. والخلاف في أنّ الاسم هو المسمّى كما هو مذهب أهل السُنّة، أو غيره كما هو مذهب المعتزلة، والاستدلال للفريقين والجواب عن الاحتجاج مشهور معروف[3]، ولا طائل تحته؛ إذْ الخلاف عند المحقّقين لفظيّ.

---

(1) انظر المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. أبو حامد الغزالي : ص 117.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2317/6. مادة حلا.

(3) نجمل أدلّة أهل السُنّة فيما يلي : قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ومعناه : تبارك ربك، وأيضاً قوله تعالى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ولا يشك عاقل أنّ المسبح هو الله تعالى، لا قول من يقول التسبيح، ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف : الآية 40] وقد علمنا أنهم ما كانوا يعبدون الأقوال والتسميات، وإنّما كانوا يعبدون الأصنام.

المُنْتَقِم : من أسمائه تعالى، ومعناه المعاقب لِمَن عصاه، وهو من أسماء الأفعال. وانْتَقَمَ الله منه؛ أيْ عاقبه. والاسم منه النَقِمَةُ، والجمع نَقِماتٌ ونَقِمٌ؛ ككَلِمة وكَلِمات وكَلِم. وإنْ شئتَ سكنتَ القاف ونقلتَ حركتها إلى النّون فقلتَ نِقْمَة، والجمع نِقَم؛ كنِعْمَة ونِعَم[1].

ويحتمل أنْ يريد النّاظم بالكريم والمنتقم الجنس، والمراد من المخلوقين؛ أيْ إذا الكريم انقلبت صفته من الكرم الّذي يشمل الصفات الحميدة؛ الّتي من جملتها العفو والتّجاوز وعدم الاستقصاء في العتب على الجناية، إلى صفة التّشاح والتّضايق واستقصاء الحقّ، وهي صفة الانتقام، وذلك لِما يرى من أهوال القيامة، فكلّ أحد في ذلك اليوم يشتهي أنْ يذُوبَ له الحقّ[2] ولو على أبيه وابنه وأقرب النّاس إليه، ليستكثر به في استجلاب الثّواب ودفع العقاب، وعلى هذا الوجه يندفع الاعتراض الوارد على الوجه الآخر.

الجُودُ : مصدر جَاد الرّجل بماله يجُود جُودًا – بالضمّ - فهو جَوادٌ. وقَوْمٌ جُودٌ؛ كقَذالٍ وقُذُلٍ، وإنّما سُكنت الواو لأنّها حرف علّة، وأَجْوَاد وأَجَاوِدَ وجُوَدَاء. وامرأة جَوَادٌ، ونِسْوَةٌ جُودٌ. ويقرب من معنى المادّة جَادَ الفرسُ : صار رائعاً، يَجُودُ جُودَةً – بالضمّ - فهو جَوَادٌ للذّكر والأنثى، من خَيْلٍ جِيَادٍ. وشيءٌ جَيِّدٌ، والجمع جِيَادٌ وجَيَائِدُ بالهمز على غير قياس. وجادَ الشّيءُ جَوْدَةً وجُودَة :

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 2045/5. مادة نقم.

(2) قال الزبيدي : يَذُوبُ لَهُ الحَقُّ؛ أَي يَجِبُ، وَهُوَ مجازٌ. انظر تاج العروس : 447/2.

صار جَيِّداً. وأَجَدْتُ الشّيءَ وأجْوَدْتُه فَجَادَ. والتّجْوِيدُ مثله. وجَاوَدْتُ الرّجل من الجُودِ؛ كماجَدْتُه من المَجد[1].

وضَرَّتها : أيْ الآخرة؛ لأنّها ضَرَّة الدّنيا، لِما بينهما من التّضادّ؛ لأنّ مَن صرف عنايته إلى أحدهما، أضرّ بالأخرى.

وضَرّة المرأة : امرأة زوجها؛ سُمِّيت كلّ واحدة منهما ضَرّة؛ لأنّها تضرّ صاحبتها لِما بينهما من التّحاسد والتّنافس، فشُبّهت الدّنيا والآخرة بهما؛ لِما بينهما من التّنافر، إلاّ أنّهما لا يجتمعان لطالب واحد. والضِرُّ بالكسر : تزوُّج المرأة على ضَرَّةٍ. يُقال : نكحتُ فلانةَ على ضِرٍ؛ أيْ على امرأة كانت قبلها، وحكى أبو عبد الله[2] فيه الضمّ والكسر[3].

عُلُومك : جمع عِلْم. وقد تقدّم.

اللَّوْح : هو اللّوح المحفوظ الّذي كتب الله فيه ما كان وما هو كائن. واللّوح الّذي يُكتب فيه. واللَوْحُ : الكتِفُ، وكلُّ عظم عريض. وألْواحُ السّلاح: ما يَلوحُ منه كالسّيف والسِّنانُ. وأمّا اللُوحُ بالضمّ : فالهواء بين السّماء والأرض. يُقال : لا أفعله ولو نَزَوْتَ في اللُوحِ؛ أيْ في السُكاكِ[4].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 461/2. مادة جود.

(2) هو أَبُو عَبدِ اللَّه مُحَمَّد بِن أَحمَد بِن عَبدِ الله (.. – 243هـ)، ويُلَقَّب بالطُّوَال، وهو نحويٌّ كوفِيّ ومن أئمة الطبقة الرابعة من نحاة المدرسة الكوفية، عاصرَ محمد بن سعدان الضرير وابن السكيت. انظر الفهرست. ابن النديم : 93.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 719/2. مادة ضرر.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 402/1. مادة لوح.

وقرأ يحيى بن يعمر[1] : ﴿فِي لُوحٍ مَحْفُوظٍ﴾[2]؛ بالضمّ.

قال الزّمخشريّ : «وهو الهواء؛ أيْ الهواء الكائن فوق السّماء السّابعة؛ الّذي فيه اللّوْح المحفوظِ من الشّياطين»[3].

القَلَم : هو الّذي ورد في الحديث : «**إِنَّه أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ : اكْتُبْ. قَالَ : مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اكْتُبْ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَد**»[4].

---

(1) هو يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان (..- 129هـ =..- 746 م). أول من نقط المصاحف. ولد بالاهواز. وسكن البصرة. وكان من علماء التابعين. أدرك بعض الصحابة. وأخذ اللغة عن أبيه، والنحو عن أبي الأسود الدؤلي. انظر الأعلام. الزركلي : 177/8.

(2) سورة البروج : الآية 22.

(3) انظر الكشاف. الزمخشري : 734/4.

(4) رواه الترمذي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مرفوعا في تفسير القرآن. بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن وَالْقَلَمِ. ورواه غيره. والحديث صحيح.

التَّفْسِيْرُ

[النّاظم يؤنس نفسه ويرجّيها في رحمة الله]

لمّا أخبر عن خسارة نفسه في تجارتها، وتعجّب من ذلك، وذكر موجبه؛ وأنّه ممَّن غُبن لبيعه الآجل بالعاجل، كان ذلك كلّه مقوّيًا للقنوط والإياس، فعقبه بما يؤنس النّفس ويرجّيها في رحمة الله تعالى، وذكر عهدته في ذلك، وما يطمعه فيه؛ وهو الاعتصام بعهد الإيمان بالنّبيّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّ «أل» في النبيّ للعهد، فإنّه نبيّه وممدوحه، ويبيّنه البيت الّذي بعده أيضًا، وميثاقه الّذي اِلْتزمه من دين الإسلام الّذي جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتمسّك بحبل شريعته.

فكأنّه يقول للنّفس : يا نفسُ - وإنْ استوجبت ما ذُكر من العقاب باجترامك ما ذكرت، وإتيانك بما أتيت به ممّا صار لك كالقلادة من الآثام - فلا تيأسي مع ذلك، فإنّ لك جاهًا كريمًا وشافعًا عظيمًا؛ وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والوصلة بينك وبينه كون عهدي ليس بمنتقض من دينه، فإنّي معتقد صحّته، ملازم له، وكون حبلي؛ وهو التسبب الدّال على أنّه وفيّ بميثاق الدّين؛ من التزام بعض العبادات؛ كالّتي بُني عليها الإسلام، وبلا شكّ أنّ الملتزم بعقيدة الإيمان ينجو بفضل الله من الخلود في النّيران، فكيف بمَن يلتزم مع ذلك أمّهات العبادات : «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1]. و : «**مَنْ**

---

(1) رواه مسلم عَنْ حُمْرَانَ عَنْ عُثْمَانَ مرفوعا في الإيمان. بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا. ورواه غيره.

الدّليل على أنّ حبلي غير منصرم من إظهار دينه ترديدي لذكره؛ الّذي هو عبادة ظاهرة، وهذه هي الجملة الثّانية.

إذا عرفت هذا، تبيّن لك أنّ قول بعضهم في هذا البيت والّذي قبله أنّها ترجية للنّفس بالرّجاء في رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من وجهين؛ كونه من أهل ملّته، وكونه سَمِيًّا له؛ فالبيت الأوّل للأوّل، والثّاني للثّاني. قال : «إلاّ أنّ الواو أَنْسب لهذا الشّرح؛ لأنّ الفاء تعطي أنّه شيء واحد، وأنّ الثّاني تفسير الأوّل تقصير في التّفسير، فإنّه يلزم عليه التّكرار في جَعل العهد والحبل بمعنًى واحد، وإخراج الفاء عن موضعها، وجعل معنى البيتين معنًى واحدًا».

وقوله : "وهُوَ أوفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ"؛ أيْ إذا ثبت لي منه هاتان الذمّتان مع عظيم جاهه وعلوّ مكانته عند ربّه، فلا أخاف، ولا أبالي؛ فإنّه أَوْفى الخَلْق بالذّمم؛ لا يُسْلِمني إلي العذاب، ولا يُضِيعني، وهو قادر على تخليصي بالشّفاعة الّتي أُذن له أنْ يشفع بها في مُحبّيه المؤمنين به.

اللّهمّ ثبّت لنا ما رزقتنا من الإيمان به والمحبّة فيه، واحشرنا يوم القيامة في زمرته، بجاهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندك.

قال بعضهم : «قوله : "آتِ" مستقبل المعنى؛ لأنّه شرطٌ لـ "إنْ"، وهي تخلص الماضي للاستقبال، فأحرى المضارع، وفيه إغراء لنفسه بالعصيان في المستقبل، وتخفيف لأمره اتّكالاً على عهده الّذي لم ينتقض من النّبيّ، وحبله الّذي لم ينصرم منه».

قال : «والجواب : أنّ "إنْ" هنا غائيّة بمعنى "لو"، فهي تصرف المضارع إلى المُضيّ؛ نحو[1] :

لَوْ يَسْمَعُوْنَ كَمَا سَمِعْتُ كَلاَمَهَا   خَرّوَا لِعَزَّةَ سُجّدًا وركوعاً[2]

أيْ لو سمعوا. والمعنى هنا : أنّي وإنْ أتيت الذّنب، فليس ذلك بالّذي ينتقض به عهدي منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ثمّ قال : «وأشار بكلامه هذا إلى بطلان قول المعتزلة؛ فإنّهم يرون مواقعة الذّنب تُخرج عن الإيمان». انتهى مختصرًا، وفيه أمور :

الأوّل : قوله "فيه إغراء النّفس بالمعصية"، ليس كذلك، وإنّما يتمّ هذا لو أتى بلفظ "إذا"؛ فإنّها الّتي لتحقيق الوقوع، وأمّا "إنْ" فإنّما تفيد الشكّ، والشكّ في الشّيء لا يستلزم وقوعه؛ أيْ أنْ يُتصوَّر يومًا أنَ آتي الذّنب، فلا يكون ذلك مؤيسًا لي من مغفرة الله - تعالى - لي بشفاعة مَن لم ينتقض عهدي من أصل دينه، ولم ينصرم حبلي من فروعه كالتّوبة وغيرها.

الثّاني : قوله في الجواب "إنْ" غائيّة بمعنى "لو"، لا أعرف مَن نصّ على ذلك في معاني "إنْ"؛ أعني أنْ تكون بمعنى "لو" الشّرطية في صرف المضارع الواقع بعدها إلى المستقبل. وأمّا تسميتها إغائيّة فوقع في كلام المعربين كثيرًا، ويستعملها العلماء كثيرًا؛ كقول ابن الحاجب في كتابه الفقهي : «وَعَلَى عِصَابَةِ الفصَادَةِ إنْ خَافَهَا فِي الغُسْلِ وَالوُضُوءِ،

---

(1) صاحب هذا البيت هو كُثَيّر عزّة. انظر لسان العرب. ابن منظور : 523/12.

(2) هكذا في جميع نسخ المخطوط، لكن المحفوظ : رُكّعاً وسُجودا.

وَإِنْ شُدَّتْ بِغَيْرِ طَهَارَةٍ»[1]. وكذا قوله : «وَتُؤْكَلُ مَيْتَةُ البَحْرِ وَإِنْ كَانَتْ تَعِيشُ فِي البَرِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ»[2]. وكذا قوله في الأصول في حدّ القياس : «لأَنَّهُ صَحِيحٌ، وَإِنْ تَبَيَّنَ الغَلَطُ وَالرُّجُوعُ»[3]. وكذا قول ابن مالك في "التّسهيل": «ولا يؤثر وزن مستوى فيه وإنْ نُقل من فعل، خلافًا لـ "عيسى[4]"»[5]. ويمكن أنْ يكون منه[6] :

قَالَـتْ بَنَاتُ الْعَـمِّ يَا سَلْمَى وإنْ كَـانَ عييّا مُعْـدِماً قَالـت : وَإِنْ

وإنّما كثّرتُ من الشّواهد لتعلم أنّ المسمّاة بالإغائيّة هي شرطيّة في الحقيقة، فلا فرق بينها وبين غيرها، وإنّها مقارنة للواو، وهي في كلام النّاظم بلا واو، ثمّ المقول فيها إغائية لا غائية كما وقع في كلام مَن نقلنا عنه هذا الكلام، ثمّ إنّه قال : «إنّ المعنى : أنّي وإنْ أتيت». وهذا التّقدير لا يرفع شيئاً ممّا أورد، فإنّها "إنْ" الشرطيّة، وهي تصرف

(1) انظر جامع الأمهات. ابن الحاجب. في المسح على الخفين : ص 74.
(2) انظر جامع الأمهات. ابن الحاجب. في الذبائح : ص 224.
(3) انظر رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. تاج الدين السبكي : 142/4.
(4) هو عِيسى بن عُمَر الثقفي بالولاء، أبو سليمان (.. - 149 هـ = .. - 766 م) من أئمة اللغة، أول من هذب النحو ورتبه. وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه. وهو من أهل البصرة. ولم يكن ثقفياً، وإنّما نزل في ثقيف فنُسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي. وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثرًا من استعمال الغريب. له نحو سبعين مصنفًا احترق أكثرها، منها "الجامع" و "الإكمال" في النحو. انظر الأعلام. الزركلي : 106/5.
(5) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 219.
(6) يُنسب لامرأة من العرب، وقيل هو لرؤبة بن العجاج. انظر البيت في ضرائر الشعر. ابن عصفور الإشبيلي : ص 184.

الماضي إلى الاستقبال، وغاية ما فعل أنْ بدّل لفظ المضارع بالماضي، وأمّا معنى الاستقبال الّذي هو مثير الإشكال، فلم يزل.

فإنْ قلتَ : كلامك ينفي دخول "إنْ" على الماضي معنًى، وما تصنع في قوله – تعالى - حكاية عن عيسى عليه السّلام : ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ.. ﴾ الآية[1]. وحكاية عن شاهد يوسف عليه السّلام : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ.. ﴾ الآية[2]. ولا يصلح في هذَين الفعلَين الاستقبال لانقضاء وقوعهما.

قلتُ : قد أجابوا عن مثلهما؛ بأنّ المعنى : إنْ يتبيّن أنّي كنتُ قلته، وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض أبحاث هذه المسألة.

الثّالث : قوله "أشار بكلامه إلى بطلان قول المعتزلة.." إلى آخره. القائل بأنّ الذّنب يُخرج من أصل الإيمان هم الخوارج، ويعنون بشرط الموافاة على ذلك، وعدم التّوبة، وأمّا المعتزلة فيقولون : إنّه يوجب المنزلة بين المنزلتين. لكن الأمر في هذا قريب[3].

فإنْ قلتَ : وبماذا يُعتذَر عن النّاظم، فإنّ كلامه لا يدلّ إلاّ على أنّه إنْ واقع الذّنب في المستقبل، فإنّ رجاءه في الخلاص منه كون عهده.. إلى آخره. وأمّا ما صدر منه في الماضي، فلم يذكر ما رجاءه فيه.

قلتُ : قد قدّمنا في قوله : "وَمَا حَصَلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ"؛ أنّ كلامه يدلّ على أنّه ندم على ما فات منه من الذّنب، والنّدم توبة،

---

(1) سورة المائدة : من الآية 116.

(2) سورة يوسف : من الآية 26.

(3) انظر معتقد الخوارج والمعتزلة في لوامع الأنوار البهية. شمس الدين السفاريني : 364/1.

[التّرغيب في التّسمية باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وفي كلام النّاظم دليل على التّرغيب في التّسمية باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّها من الذّمم الّتي يمتّ بها إليه في رجاء شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك يستلزم جواز التّسمية باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد اختلف العلماء في ذلك، فمِن مجيز التّسمية باسمه والتّكنية بكنيته، ومِن مانع لهما، ومِن مجيز التّسمية دون التّكنية، والثّاني هو الظّاهر من مذهب عُمر رضي الله عنه؛ فإنّه قال لمَن تسمّى بمحمّد : «لاَ أَسْمَعُ مُحَمّدًا يُسَبُّ بِكَ أَبَدًا»[1]. وقالت الأنصار للّذي سَمّى ولده أبا القاسم : «لاَ نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلاَ نُنْعِمُكَ بذلك عَيْنًا»[2]. والأوّل هو الّذي ذهب إليه الأكثر؛ لتسمية كثير من السّلف بذلك، والتكنّي به، ووجه القول الثّالث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للّذي نادى يا أبا القاسم، فالتفت إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال : لم أَعْنِك يا رسول الله. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»[3]. ومنهم مَن أجاز ذلك بعد موته لا في حياته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لرفع هذا المحذور.

---

(1) رواه الإمام أحمد. انظر المسند : 427/29. رقم الأثر : 17896. والسند رجاله ثقات لكنه مرسل، فعبد الرحمن بن أبي ليلى – أحد رجال السند - لم يثبت أنه لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ في فرض الخمس. بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾. ورواه غيره.

(3) رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا في العلم. بَاب إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورواه غيره.

وجاء : «خَيْرُ الأَسْمَاءِ مَا عُبِّدَ وَمَا حُمِّدَ»[1].

وقال بعضهم : «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**تَسَمَّوْا بِاسْمِي**»[2] أمر، وحمله على النّدب ليس بِبِدْعٍ».

قلتُ : لا يبعد ما قال، لكنّ الظّاهر أنّه للإباحة، ودليله ما تقدّم في سبب الحديث. وتقدّم شيء من فضائل هذا الاسم الكريم عند قوله : "مُحَمَّدُ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ.." البيت.

---

(1) هذه العبارة مشهورة ولا أصل لها.

(2) سبق تخريجه قريبا.

[ابن مرزوق يروي قصّة مولده وسبب تسميته]

قلتُ : وأنا - والحمد لله - دائمًا ممّن له منه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذمّة التّسمية باسمه الكريم، فنسأله جلّ جلاله كما أنعم عليّ بهذه النّعمة العظيمة، أنْ لا يحرمني بركتها لا في الدّنيا ولا في الآخرة، إنّه المنعم الجواد.

وقد اتّفق لي في هذه التّسمية اتّفاقة تقوّي منّي حسن الرّجاء في بركتها، والانتفاع بها إنْ شاء الله تعالى؛ إذ كأنّني اضطررتُ إلى التّسمية بها، وأُنْقِذت بها من مهلكة، فكأنّ الله – سبحانه - اختارها لي فضلاً منه ومنّة، وذلك أنّي على ما حدّثتني به أمّي عائشة بنت الفقيه المحدّث الصّالح القاضي الأعدل أبي العبّاس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني قاضي الجماعة، كان بتلمسان المحروسة، توفيّ في سنة سبع وستّين وسبعمائة [767هـ]، وكان من المعمّرين، وأجاز له الأستاذ الجليل أبو جعفر بن الزّبير الأندلسيّ(1)، وحجّ فلقي الشّيخ أثير الدّين أبا حيّان وجلال الدّين القزويني وغير واحد من الأكابر رحمه الله، ورضي عنه، وكانت ابنته عائشة المذكورة من الصّالحات، وقد ألّفت مجموعاً في أدعية اختارتها، وكان لها قوّة في تعبير الرّؤيا؛ اكتسبتها من كثرة

---

(1) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (627 - 708 هـ = 1230 - 1308 م): محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول. ولد في جيان وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته. وتوفي فيها. من كتبه (صلة الصلة). انظر الأعلام. الزركلي : 86/1.

مطالعتها لكتب ذلك الفنّ - رحمها الله تعالى ورضي عنها[1] - وغيرها : أنّي كنت ابن سنة أو نحوها، وهي سنة ستّ وستّين وسبعمائة [766هـ] أصابني مرض شديد أشرفتُ منه على الموت، وكان من شأن أبيها وشأنها أنّهما لا يعيش لهما ولد ذكر إلاّ في النّادر لهما، وكانوا سمّوني أبا الفضل أوّل الأمر، فدخل عليها أبوها أحمد المذكور، فلمّا رأى ما بلغ بي من المرض، غضب عليها وعلى مَن معها، وقال : ألم أقل لكم لا تسمّوه أبا الفضل، ما الّذي رأيتموه له من الفضل حتّى تسمّوه أبا الفضل، سمّوه محمّدًا، ولا أسمع أحدًا يناديه بغير محمّد، إلاّ فعلتُ به وفعلت - يتوعّده بالأدب - قالت هي وغيرها : فسمّيناك محمّدًا، ففرّج الله عنك. وها أنا الآن قد جاوزت الأربعين، وكأنّه - رحمه الله - قصد التّذمّم والاستشفاء بهذا الاسم العظيم.

وأنا أسأل الله جلّ جلاله كما نجّاني من ذلك الألم ببركة مَن سُمِّيت باسمه، أنْ ينجيني من مهالك الدّنيا والآخرة، وأنْ يختم لي ولأحبابي مِن أقارب وغيرهم بما ختم به لأوليائه الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(1) لاحظ كيف كان وضع المرأة الجزائرية في ذلك الوقت، حيث كانت تحظى بالعناية والتعليم، بل كانت تؤلف، في وقت كانت غيرها من النساء في الحضارات المختلفة لا تنال مثل هذا الحظ.

[ابن مرزوق يذكر تاريخ مولده]

نعم؛ ولِي من مولانا محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذمّة أخرى؛ وهي أنّي شاركته في الشّهر واللّيلة اللّذين وُلد فيهما عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم؛ فإنّ ولادتي كانت ليلة الاثنين الرّابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام ستّة وستّين وسبعمائة [766هـ]. لا خيّبنا الله من بركة هذا القَدَر من الاتّفاق في الدّنيا والآخرة بجاهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[نجاة المتمسّك بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

قوله : "إِنْ لم يكُن.." البيت؛ لمّا أخبر أنّه أعدّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أكبر عُدَدِه عند الله – تعالى - الّتي يرجو بها خلاصه من عقابه على ما اكتسب من الجرائم، أخبر أنّ شدّة الحاجة إلى تلك العُدّة إنّما هي في مَعَاده ويوم حشره عند شدّة الأحوال وعِظم ما يُعايَن من الأهوال، فقال : إنْ لم يكن - أيْ النّبيّ الّذي ليس عهدي بمنتقض منه، ولا حبلي بمنصرم منه أيضًا، وهو محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آخذًا بيدي في يوم حشري مع سائر المخلوقات؛ حتّى لا أزِلّ مع مَن يزِل في تلك المُضيَّقات، وأخذه بيدي حينئذٍ إنّما هو مجرّد فضل منه، لا لسابقة منّي استحقُّ بها أخذه بيدي، فإنّ المنّة والفضل لله ولرسوله، فقُل أنتَ يا كلّ مَن يصلح منه الخِطاب؛ والقول : يا زلّة قدم هذا الرّجل في تلك المداحض؛ لِما كان عليه من تضييع النّوافل والفرائض. وقوله : "وإلاّ" شرطٌ حُذف فعله وجوابه؛ لدلالة السّياق والعقل عليه؛ أيْ وإنْ كان آخذًا بيدي في معادي، فقُل : يا ثبوت قدمه، أو يا سعادته، أو فوزه، أو نجاته، أو ما أشبه ذلك من المعاني.

وبعد هذا الشّرح لا يبقى عليك إشكالٌ في فهم قوله : "وإلاّ"؛ فإنّه لم يزل يستشكل، ووجه الإشكال : أنّ أصل الكلمة "إنْ لا" فأُدغِمت النّون في اللاّم، ومعناه : إنْ لا يكن ما ذُكر.. فهي لرفع ما تقدّم، فإنْ وقعت بعد الثّبوت، فهي للنّفي، وإنْ وقعت بعد النّفي - كما هنا - فهي للإيجاب. ثمّ قوله : "فقُل"؛ جعله هذا المُستشكِل جوابَ قوله : "وإلاّ"، وقد كان الأخذ باليد في قوله : "إنْ لَمْ يَكُنْ" منفيًا، فيجب أنْ يكون في

قوله : "وإلاّ" مثبتًا؛ أيْ وإنْ يكن آخذًا بيدي، فقُل يا زلّة القدم. وهذا لا يُشكّ في استحالته، فمِن مجيبٍ بأنّ الرّواية : "فإنْ يَكُنْ فِي مَعَادِي"، وهذا بيّن لا إشكال فيه إنْ صحّت الرّواية، ومِن مجيب بأنّ الرّواية تنوين "وإلاًّ"؛ أيْ فضلاً وعهدًا؛ من قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[1]، وهو كالّذي قبله.

وأُخبِرتُ عن بعضهم : «أنّه خرّجه على عُرف النّاس اليوم في مخاطباتهم؛ فإنّهم لا يريدون به ما يقتضيه القانون النّحويّ». ولا أدري أيّ النّاس الّذين عُرفهم هذا.

ورأيت لبعضهم : «أنّ قوله : "وإلاّ" توكيد؛ كرّرها حشوًا للوزن، والكلام مستقلّ دونها؛ لأنّ قوله : "إنْ لَمْ يَكُنْ"، جوابه : فَقُلْ».

قلتُ : وهذا أضعف الأجوبة، فإنّه جعل الشّيء توكيدًا لنقيضه؛ لأنّا قرّرنا أنّها بعد النّفي للثّبوت، وكيف يُؤكّد النّفي بالثّبوت، وهما نقيضان. والعجب ممّا رأيتُ في بعض الشّروح أنّ معنى "وإلاّ" : وإنْ لم يأخذ بيده، زلّت قدمه. ثمّ قال آخر كلام له : «وبهذا يندفع الإشكال». ولا أدري ما هو الإشكال عنده، وهو في الحقيقة عين ما شرح به، فإنّ ما شرح به إنّما يصحّ مع رواية "فإنْ يَكُن.." إنْ صحّت، وأمّا مع "إنْ لَمْ يَكُنْ" الثّابتة، فليس معنى "وإلاّ" إلاّ ما قدّمناه، وهو نقيض ما فسّر به، ولعلّه لم يحقّق معنى "وإلاّ"، وأصل هذا التكلّف كلّه والتّخليط ضِيق العَطَن[2] في

(1) سورة التوبة : من الآية 10.

(2) قولهم فلانٌ ضَيِّقُ العَطَنِ: معناه قليل العطاء ضيق النفس، والأصل في العطن الموضع الذي تَبْرُكُ فيه الإبل إلى الماء إذا شربت. والمقصود هنا قلة الزاد.

علم اللّسان، وفي فصل الإعراب تمام تحقيق ما بقي من هذه القاعدة؛ أعني حَذف الشّرط والجواب، أو أحدهما إنْ شاء الله تعالى.

قوله : "حَاشَاهُ.." البيت؛ يحتمل حاشا هذا أنْ يكون اسمًا بمعنى المحاشاة كما تقدّم في الغريب؛ أيْ أُحَاشيه مُحَاشَاة، والمعنى أنزّه محمّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حرمان راجيه - أو الرّاجي منه - مكارمه، أو من رجوع المستجير بذمّته - أو المجاور له - غير محترم منه، بل لا يُحرم الرّاجي مكارمه، ولا يرجع الجار منه إلاّ محترَمًا. أو المعنى محاشاته ممّا ذُكر - أيْ تنزيهه؛ من حرمان الرّاجي مكارمه، ورجوع الجار منه غير محترَم - ثابتٌ معلومٌ. ويحتمل أنْ يكون فعلاً؛ أيْ جَانَبَه حرمانُ الرّاجي مكارمه ورجوعُ الجار منه غير محترم. والمقصود بهذا زيادة تسكين النّفس من خوفها، وتطمينها من قلقها، وزيادة تعظيم مَن أعدّ شفاعته لتخليصه من المهالك عدّة لا تخيب ورجاءً يحضر ولا يغيب.

و "يَحْرِمَ" يحتمل البناء للفاعل، وفاعله ضمير يعود على النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل البناء للمفعول؛ وهو الرّاجي، فيكون على الأخير مرفوعًا، وعلى الأوّل منصوبًا؛ قُدِّر نصبه للضّرورة. وتحتمل الهاء من "مكارمه" أنْ تعود على "الرّاجي"؛ أيْ ما يُكرم هو؛ أيْ الرّاجي به.

قوله : "ومُنذُ أَلزَمْتُ.." البيت؛ هذا كالدّليل على قوّة رجائه فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّه لا يخيب، فهو يقول لوسواس النّفس والشّيطان - إنْ خالجته قائلة : ما يوصلك إلى التمسّك بأذيال النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّى يصل إليه مثلك من المخلطين العاصين -:

[سبب إنشاء البوصيري للقصيدة المباركة]

وهذه العلّة الّتي أصابته هي كانت سبب إنشائه لهذه القصيدة المباركة على ما أخبر به رضي الله عنه، كما حدّث ذلك عنه غير واحد : أنّه قال : سبب إنشائي لهذه القصيدة المباركة أنّه أصابني خلط فالج، أبطل نصفي، ولم أنتفع بنفسي، ففكّرتُ أنْ أعمل قصيدة في مدح النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأستشفعُ بها إلى الله عزّ وجلّ، فأنشأتُ هذه القصيدة ونِمتُ، فرأيت النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في المنام، فمسح بيده المباركة عليّ، فعُوفيت من وقتي، وخرجتُ من أوّل النّهار، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي : يا سيّدي، أُريدُ أنْ أسمع القصيدة الّتي مدحتَ بها سيّدي محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولم أكن أعلمتُ بها أحدا - فقلتُ، وقد حصل عندي منه شيء : وأيّ قصيدة تريد؟ فإنّي مدحته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقصائد كثيرة. فقال لي : الّتي أوّلها "أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ"، والله لقد سمعتها البارحة تُنشد بين يَدَي مَن وُضعت فيه، ورأيته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتمايل كما يتمايل القضيب. قال : فأعطيته القصيدة، فذهب وذكر ما جرى بيني وبينه للنّاس، فبلغتْ الصّاحب بهاء الدّين وزير الملِك الظّاهر[1]، فاستنسخ القصيدة، ونذر أنْ لا يسمعها إلاّ حافيًا واقفًا مكشوف الرأس، وكان يحبّ سماعها كثيرًا، ويتبرّك بها هو وأهل بيته، ورأوا من بركاتها أمورًا عظيمة في دينهم ودنياهم[2].

---

(1) هو علي بن محمد بن سليم المصري، المعروف بهاء الدّين ابن حِنّا (603 - 677هـ = 1207 - 1279م) وزير، كان من أكابر الرجال في عصره، حزمًا وعزماً ورأياً ودهاءً وخبرة. مولده ووفاته بمصر. استوزره "الظاهر" وفوّض إليه الأمور، فقام بأعباء المملكة إلى أن مات "الظاهر" وولي ابنه سعيد، فثبت في وزارته إلى أنْ توفي. انظر الأعلام. الزركلي : 333/4.

(2) انظر الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي : 93/3 و94.

[بركة قصيدة البردة]

ولقد أصاب سعد الدّين الفارقيّ[1] - موقّع الصّاحب هذا - رمدٌ عظيم، أشرف منه على العمى، فرأى في منامه قائلاً؛ إمّا النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإمّا غيره، يقول له : امضِ لبهاء الدّين وخذ منه "**البُرْدَة**"، واجعلها على عينيك تُفِق، فنهض من ساعته، وجاء إلى الصّاحب، فقال له منامه، فقال له : ما عندي "**البُرْدَة**"، وإنّما عندي مدح النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنشاء البوصيريّ، فنحن نستشفي بها. وأخرجها ووضعها الفارقيّ على عينَيه، وقُرئت وهو جالس، فعُوفي من الرّمد لوقته.

وبركة هذه القصيدة كثيرة، فلتقرأ عند طلب الحاجات ونزول المهمّات، فإنّها عظيمة البركات. نفعنا الله بها وبمَن قيلت فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورضي عن آله وأصحابه في الدّنيا والآخرة، إنّه سميع الدّعاء.

---

(1) هو سعد الله بن مروان بن عبد الله بن خير، الصدر الأديب سعد الدين الفارقي الموقّع؛ كان بليغاً منشئاً شاعراً محسناً، سمع من ابن كريمة وابن رواحة وابن خليل وجماعة، وحدث بمصر ودمشق، وبها توفي كهلاً في سنة إحدى وتسعين وستمائة، ودفن في سفح قاسيون. انظر فوات الوفيات. ابن شاكر : 47/2.

[الاستشفاء بالرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

واقتدى النّاظم في استشفائه برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الدّاء؛ الّذي لا يرجى برءه بطبّ، بالصّحابيّ - رضي الله عنه - الّذي كان أعمى، وسأل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ يدعو الله في ردّ بصره عليه، فأمره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ يتوضّأ ويصلّي، ويدعو بالدّعاء الّذي علّمه[1]، وفيه التوسّل به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى الله تعالى في أنْ يردّ عليه بصره، فقبل الله - سبحانه وتعالى - توسّله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردّ عليه بصره. ذكره القاضي أبو الفضل عياض في كتاب "**الشّفا**"[2].

---

(1) ونصه : «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّى تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّى فِى حَاجَتِى هَذِهِ لِتُقْضَى لِى، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ».

(2) انظر الشفا. القاضي عياض : 322/1. والحديث رواه الترمذي عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ مرفوعا في الدعوات. بَاب فِي دُعَاءِ الضَّيْفِ. ورواه غيره. والحديث صحيح.

[بركة الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

قوله : "ولَن يَفُوتَ الغِنَى.." البيت؛ أيْ ومع كونه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرجوًّا للخلاص من الشّدائد، ومخلّصًا منها، لا يقتصر على ذلك، بل يخلّص من الشّدائد في الدّنيا، ومن عذاب النّار في الأُخرى، ويُنيل الغنى في الدّنيا، والجنّة في الآخرة، فلن يسبق الغنى منه يدًا افتقرت أو خسرت ما كان بيدها؛ إمّا من الأموال في الدّنيا، فمَن تعلّق به يجيره، وإمّا من الثّواب؛ فلاقترافه المعاصي، فهو يشفع فيه، ويدخل الجنّة. فغِناه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يسبق اليد المفتقرة، بل يساوقها ويصاحبها مهما طلبته، ولا يُقال : إنّ المفتقر من المال أو من الحسنات يبعد أنْ يستغني بالمال أو بالثّواب، ولمّا لم يكن له رأس مال ولا عمل صالح، فإنّه غير قابل لذلك؛ لأنّ فضل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند ربّه عظيم، فببركته يخصب المحلّ المضمحل الجدب، حتّى يصير أخضر يانعًا، فإنّه كالحيا؛ أيْ المطر الّذي إذا توالى يُنبت الأزهار حتّى في الأكَم الّتي قد يُقال : إنّها لا تقبل استقرار الماء فيها لارتفاعها، وانحداره منها؛ أيْ كما أنّ الحيا يُنبت الأزهار في المواضع الّتي لا يظنّ أنْ ينبته فيها كالأَكَم لعموم بركته، فكذا هو - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعلوّ منزلته، وشرف قدره عند ربّه، يُنيل الغنى مَن يظنّ أنْ لا يستغني لشدّة فقره وفاقته. وإذا كان المطر - بل الدّنيا بأجمعها - من بركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، علمتَ أنّ تشبيهه بالمطر إنّما هو على سبيل التّقريب للأفهام، وجريًا على عادة الشّعراء في تشبيه الكريم بالحَيَا، وإلاّ فالأَوْلى أنْ يقرب التّمثيل بمثل قول الآخر[1] :

(1) هو أبو الفرج الوأواء الدمشقي، وقالهما في سيف الدولة. وسبق توثيقه.

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ في الحُكْمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
أَنْتَ إذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَداً وَهُوَ إذَا جَادَ هَامِعُ[1] العَينِ

على أنّ هذا كلّه لا يخلص في هذا المقام، فإنّه أرفع من كلّ مقام، على أنّ النّاظم - رحمه الله - تأدّب في عدم التّصريح بالتّشبيه، وإنّما ذكر قاعدة يُستدلّ بما تضمّنت من التّشبيه على مقصوده، فكم من فقير في الدّنيا أغناه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدّم من ذلك في ذكر خُلُقه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يشير إلى بعض النّوازل، واختصّ جميع الوقائع والنّوازل، واعتبرَ بما كان عليه الصّحابة - رضي الله عنهم - والعرب، بل وجميع الأمّة من الفقر، وما آل إليه أمر الجميع من المُلك والغِنى، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**تاللّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى.. أَنْ تَنَافَسُوهَا**»[2]. وأمّا إنالة الغنى يوم القيامة، والإخراج من النّار، وإدخال الجنّة، فيكفيك في ذلك ما في حديث الشّفاعة، والتجاء الخلائق كلّهم إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أخبر - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنّ رجلاً من أمّته يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من رَبِيعة ومُضَر[3]، فكيف به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللّهمّ اغننا به في الدّنيا والآخرة بمنّك وفضلك.

---

(1) المحفوظ "دامع" بدل هامع، وأورده ابن مرزوق قبلُ أيضًا بلفظ "هامل".

(2) رواه البخاري عن عَمْرو بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه مرفوعا في المغازي. بَاب شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا. ورواه غيره.

(3) ونص الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ: رَبِيعَةَ وَمُضَرَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ». ورواه الإمام أحمد في المسند : 547/26 رقم الحديث 22215. ورواه غيره والحديث صحيح.

[صدق إيمان النّاظم]

قوله : "ولَم أُرِدْ زَهرَةَ الدّنيا.." البيت؛ هذا البيت أدلّ دليل وأقواه على صدق إيمان هذا النّاظم رحمه الله تعالى ورضي عنه، فإنّه لمّا علم عِلمًا يقينا لا تخالجه الشّكوك أنّ مَن تعلّق بأذياله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوسّل إلى الله – تعالى – بجاهه، يظفر بالمطلوب، ويُنيله منه مولاه المُنى والمرغوب، وعَلِم يقينًا أنّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إنّما كان يرغب في تحصيل المطالب الأخرويّة، وأنّ المتمتّع باللذّات الدّنيويّة ينتقص حظّه من لذّات ضَرّتها الأخرويّة، وكان قوله : "ولَن يَفُوتَ الغِنَى" تعريض بالطّلب؛ بَادَر لمَن يسمعه برفع ما يَتوهّم عليه؛ من أنّه أراد في ثواب أمداحه له – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شيئًا من غنى الدّنيا بهذا البيت العظيم، فقال : لا يُتوهّم أنّي أتعرّض بأمداحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – العظيمة الجزاء عند الله – إلى نيل شيء من متاع الدّنيا الحقير، فإنّي أُجلّ مقدار أمداحه عن ذلك؛ إذ لا يُتوسّل بالعظيم إلاّ لنيل العظيم، فأنا لم أرد بما توسّلتُ به من أمداحه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نيل زهرة الدّنيا ونضارتها الّتي تروق الأبصار، ولا تصلح للادّخار، فإنّها سريعة الزّوال، قريبة الانتقال، ولذا سمّاها الله تعالى : ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[1]. تشبيهًا لها بالزّهر الّذي لا يدوم التمتّع به، بل يتغيّر سريعًا، ويعود للحين صريعًا، وبوصف الله – تعالى – إيّاها بذلك اقتدى النّاظم.

(1) سورة طه : من الآية 131.

[ما يتوسل إليه بمدح الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وقوله : "الّتي قطفَتْ.." إلى آخره؛ أيْ إنّما يتوسّل بمدحه إلى قطف زهرة الدّنيا بيده من ممدوحه مثل زُهَير من هَرَم بن سنان، فحقيرٌ توسّلَ بحقير إلى حقير في نيل حقير، وأمّا المؤمن المحبّ في رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – العظيم المنزلة عند الله، فلا يتوسّل بالعظيم من أمداحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عظيم العظماء – وهو الله جلّ جلاله – أو إلى عظيم – وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلاّ في أمر عظيم، وهو السّلامة من النّيران، والتنعّم بنعيم الجِنان، وهذه هي المطالب الأخروية.

وهذا الّذي ذكر النّاظم؛ من أنّه لا يتوسّل برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في نيل متاع الحياة الدّنيا؛ هو الّذي كان يحرّض عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُرغّب فيه، كقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لعليّ وفاطمة – رضي الله عنهما – حين أتت فاطمة – رضي الله عنها – تسأله خادمًا : «**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ لَكُمَا أَفْضَلُ مِنْ خَادِمٍ، إذا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أن تسبّحا الله..**» الحديث[1].

---

(1) الحديث بتمامه : عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ فاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلام شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَ فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ مَكَانَكِ فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ : «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». رواه البخاري في الدعوات. بَاب التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ الْمَنَامِ. ورواه غيره.

ومنعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرّجلين من أهل بيته - اللّذين سألاه العمل؛ ليُصيبا ما يتزوّجان به - ما طلبا، وأمر مَن يزوّجهما[1].

وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لزوجه أمّ حبيبة - وقد سمعها تقول: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ - : **«سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مُقَدَّرَةٍ.. وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابٍ فِي النَّارِ، لَكَانَ أَوْلَى»**[2].

وكقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر - رضي الله عنه - حين دخل عليه في المشربة، وأثر السّرير في جنب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكى عمر - رضي الله عنه - حين لم ير في البيت غير أُهُب ثلاثة وقرظ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا يُبْكِيكَ؟»**. فقال: يا رسول الله، فارس والرّوم فيما هم فيه من النّعيم، وأنت رسول الله على هذه الحالة. وكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متّكئا، فجلس، وقال: **«أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَلَنَا الآخِرَةُ»**. فقال: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ[3].

---

(1) وذلك لَمَّا سَأَلَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمَا فِي جِبَايَةِ الزَّكَاةِ؛ لِيُصِيبَا مَا يَتَزَوَّجَانِ بِهِ، مَنَعَهُمَا مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ مَحْمِيَةَ بْنَ جزو - وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ - أَنْ يُعْطِيَهُمَا مَا يَنْكِحَانِ بِهِ. انظر أعلام الموقعين. ابن القيم: 122/4.

(2) أصل هذا الحديث في الصحاح. انظر صحيح مسلم في القدر. بَاب بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ. ورواه غيره.

(3) أصل هذا الحديث في الصحاح. انظر صحيح البخاري في المظالم والغصب. بَاب الْغُرْفَةِ وَالْعُلِّيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا. ورواه غيره.

وقال عمر وعبد الرّحمن بن عوف رضي الله عنهما : «مِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا، ومِنَّا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُميْرٍ، مات يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ بِهِ إِلاَّ نمرة كَانَتْ عَلَيْهِ، إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بدت رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بدا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغطّينا بها رَأْسَهُ، وألقينا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ»[1]. فرأيا - رضي الله عنهما - أنّ مَن فُتح له شيء من الدّنيا، فقد أكل من أجره، حتّى إنّ طلب دفع بلايا الدّنيا ممّا ينقص من أجر الآخرة، فقد قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للمرأة الّتي كانت تصرع، وطلبت منه أنْ يدعو الله – تعالى - لها ليكشف ما بها : «**إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ لَكِ، فَيَكْشِفُ مَا بِكِ، وَإِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ، فَيَعْظُمُ أَجْرُكِ**». فقالت : أصبر، ولكنّي أنكشفُ إذا صرعت، فادع الله أنْ لا أنكشف. ففعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم تنكشف بعدُ[2]. وهذا كثير.

فإنْ قلتَ : إنّ النّاظم لم يقتد بهذه المرأة، بل توسّل بهذا القصيد في كشف ما به من الضرّ، وأيضًا كشف المضرّات الدّنيويّة من زهرة الدّنيا، فكيف طلبها، وهو يقول : "لَم أُرِدْ زَهرَةَ الدّنيا"؟

---

(1) هذا القول ثابت عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، ولم أقف عليه من قول عمر وابن عوف. انظر صحيح البخاري في الجنائز. بَاب إِذَا لَمْ يَجِدْ كَفَنًا إِلَّا مَا يُوَارِي رَأْسَهُ أَوْ قَدَمَيْهِ غَطَّى رَأْسَهُ.

(2) رواه الإمام أحمد عن ابْنِ عَبَّاسٍ مرفوعا. انظر المسند : 291/5. رقم الحديث : 3240. ورواه غيره. والحديث صحيح.

قلتُ : لا شكّ أنّ الصّبر على البلاء مقام عظيم، لكنّه مقام الأكابر[1]، وليس كلّ أحد يقدر عليه، ولذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِذَا سَأَلْتُمُ الله شَيْئًا، فَاسْأَلُوهُ العَافِيَةَ**»[2]. وقال حين ناله من أهل الطّائف ما ناله، ودعا الله تعالى : «**وَلَكِنَّ عَفْوَكَ أَوْسَعُ لِي**»[3]. وقال للصّحابيّ الّذي صار من المرض كالفرخ : «**هَلاَّ سَأَلْتَ اللهَ العافِيَةَ**»[4]. فإنّ المبتلى قد لا يصبر لشدّة الألم، فيخاف عليه الفتنة، ولأنّ التمكّن من عبادة الله – تعالى - إنّما تستقيم من عامّة النّاس مع صحّة الجسم، ولذا كان في الدّعاء المأثور : «**اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا لِخِدْمَتِكَ**»[5]. وفي بعضها : «**وَاجْعَلْ ذَلِكَ الوَارِثَ مِنَّا**»[6]. فالنّاظم - رحمه الله - طلب كشف البلاء ليستعين بصحّة جسمه على عبادة ربّه، فيكثر أجره في الآخرة، ومخافة ألاّ يُفتن بشدّة البلاء، فيضيع العبادة، أو يئول به الحال إلى شيء آخر. نسأل الله العافية والمعافاة الدّائمة في الدّين والدّنيا والآخرة.

---

(1) أقول : لله درك يا ابن مرزوق ما أفقهك. وعلى هذا الفهم يحمل عليه كل ما أثر عن السلف من فضائل الفقر والبلايا.

(2) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسندا، ولكن ورد بمعناه في عدة أحاديث منها : عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَا سَأَلَ اللَّهَ عَبْدٌ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْأَلَهُ الْعَافِيَةَ». رواه ابن أبي شيبة. انظر المصنف : 206/10. الحديث رقم : 29796.

(3) قال المتقي الهندي : رواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر. انظر كنز العمال. المتقي الهندي : 175/2. رقم الحديث : 3613.

(4) رواه الطبراني عن بريدة مرفوعا في الأوسط : 177/6. رقم الحديث : 6118.

(5) الحديث ثابت من غير قوله "لخدمتك". رواه الترمذي عن ابن عُمَرَ مرفوعا في الدعوات. بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ. ورواه غيره. والحديث حسن.

(6) العبارة واردة في رواية الترمذي وغيره.

[ما يسوغ من سؤال الدّنيا]

وإنّما تبرّأ من زهرة الدّنيا المطغية؛ الّتي توجب نقص حظّ الآخرة، وأمّا القدر الضّروريّ الّذي به يتقوّى على العبادة، فلا بدّ منه، وسؤاله من الله – تعالى – مرغّب فيه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا**»[1]. وفي بعض مناجاة موسى عليه السّلام : «يَا رَبِّ، إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنْ سُؤَالِكَ الدُّنْيَا». أو كلام هذا معناه. فقال الله تعالى : «يَا مُوسَى لاَ تَفْعَلْ، بَلْ اسْأَلْنِي حَتَّى مِلْحَ عَجِينِكَ، وَعَلَفَ شَاتِكَ»[2].

وعن بعض السّلف – وأظنّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يفعله – أنّه كان يسأل الله تعالى في صلاته علف حماره[3]. وهذا كلّه محمول على القدر الضّروريّ لا الكثير الفاتن. ودعاءه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأنس رضي الله عنه[4] وغيره بالغنى نادر، مع أنّ في دعائه لأنس: "وَبَارِكْ لَهُ"، والبركة تستلزم نفي الفتنة، ولأنّه رأى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنّ ذلك لا يضرّهم. وفي هذا البيت تفسير آخر ورواية أخرى، وهي "قَطَعَتْ" بالعين مكان الفاء، انظره في ترجمة الإعراب.

---

(1) رواه ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعا. انظر صحيح ابن حبان : 254/14. الحديث رقم : 6343. ورواه غيره. والحديث صحيح.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 369/2.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 369/2.

(4) وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ». والحديث رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا في الصوم. بَاب مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلَمْ يُفْطِرْ عِنْدَهُمْ.

[لواذ الناظم بالرسول هو طلب الشفاعة]

قوله : "يا أكرَمَ الخَلقِ.." البيت؛ من قوله : "إنْ آتِ ذَنْبَاً" إلى هنا هو ثناء عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومدح على سبيل الإخبار عن الغائب، فلمّا ذكر من أوصافه الكريمة ما ذكر بحسب ما فتح الله عليه منها، التفت بالمواجهة إليه، ومقبلاً بالخطاب عليه، فقال : إيّاك أعني، وأنتَ أردتُ يا أكرم الخَلْق يا مُحمّد، فإنّي ليس لي مَن ألجأ إليه وأعتصم به عند نزول الخطب الملمّ والأمر المدلهمّ - وهو وقوع الحادث الطّويل كَرْبه، الشّديد مشقّته وخَطْبه، وهو حادث يوم القيامة؛ يوم الحسرة والنّدامة - سِواك وسِوى جاهك وحُرمتك عند مولاك، فإنّ ذلك مقام لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاّ مَن أتى ألله بقلب سليم، ومَن عاذ بجاهك الرّفيع العظيم.

قال بعضهم : «يحتمل أنْ يريد : يا أكرم الخَلْق على الله، أو يا مَن هو من المخلوقين زاد كرمه على كلّ مخلوق، أو المعنيَين جميعًا»؛ أيْ يا كريمًا في ذاته، كريمًا على ربّه كرمًا فائقاً في الوجهَين كَرَمَ الخَلق كلّهم.

قال : «لكن هذا الاحتمال إنّما يصحّ على رأي الشّافعي في تعميم اللّفظ المشترك[1]». انتهى. وهو حسن.

قوله : "ولَن يَضِيقَ.." البيت؛ أيْ لن يعجز - يا رسول الله - جاهُك بي؛ أيْ عنّي أو بسببي في كوني التجأتُ إليه في التوسّل به لاستنقاذي ممّا استحقّه من العقاب. أو المعنى: ليس لا يسعني جاهك؛

---

(1) سبق توثيق مسألة عموم المشترك.

لأنّ ضاق بمعنى لم يتّسع، و"لن" نفيه، ونفي النّفي إثبات، فلِذا كان المعنى : بل جاهك الرّحب الواسع يسعني، ويسع كلّ مذنب عاصٍ من المؤمنين مثلي في الاستنقاذ من وقوع الهلاك، أو في الخلاص منه بعد الوقوع فيه، وتلك السّعة - الموصوف بها جاهك ومقامك - هي في أعظم مقامات الشّدائد وأصعبها، وذلك حين يوقع الله - مولانا سبحانه وتعالى - الانتقام بالعصاة، ويظهره، وهو يوم القيامة، فإنّ كلاًّ من المرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - حين يُلْتَجَأ إليهم في الشّفاعة للإراحة من طول الموقف، يقول : «**نَفْسِي.. نَفْسِي**». ويُخبر كلّ منهم عن الله – تعالى - بأنّه غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله، ولا يغضب مثله بعده، وأنتَ صلَّى اللهُ عليك تقول : «**أُمَّتِي.. أُمَّتِي**». حسبما تضمّن ذلك حديث الشّفاعة[1].

والمراد بغضب الله – تعالى - إيقاع العذاب بمستحقّيه، فهو من صفات الأفعال، وهو معنى وصفه بـ "منتقم"، فقوله في الحديث : «**لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ**»[2]؛ أيْ لم يعاقب قبل ذلك اليوم مثل ما عاقب فيه، فإنّه - سبحانه وتعالى - تجاوز عن عباده في الدّنيا، وحلم عليهم، فلم

---

(1) سبق تخريجه.

(2) هو جزء من حديث، رواه بهذا اللفظ أبو بكر بن الخلال في كتابه السنة عن عَطَاء وَعَمْرو بْنَ دِينَارٍ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ..». انظر السنة : 256/1 رقم الأثر 306. وهو حديث مقطوع. وأصله صحيح، وفيه : «..فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ..». رواه الترمذي في صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بَابُ مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ. وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

يعاجلهم بالعقوبة مع عظيم ما أتوه من الذّنوب، بل عاملهم - سبحانه وتعالى - بقَدْر ما يستحقّونه من الصحّة والعافية، ووسّع عليهم في أرزاقهم، وسخّر لهم البلاد والعباد، وهذه ثمرات وصفه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالكريم، على ما تقدّم في تفسيره أنّه من صفات الأفعال. فتلخّص أنّ الكريم والمنتقم من أسمائه – تعالى - هما من صفات الأفعال، والمعنى : لا يضيق جاهك بي في الموطن والزّمن الّذي يخلُق فيه من الانتقام ما لم يكن خلَقه قبل ذلك.

الحسن[1] : «مِن أسمائه تعالى ما يُقال إنّه غيره، وهو كلّ ما دلّت التّسمية به على فعل؛ كالخالق»[2]. وذهب بعض أئمّة أهل السُنّة إلى أنّ كلّ اسم هو المُسَمّى بعينه، فالخَالق هو الاسم وهو الربّ تعالى، وليس الخالق اسمًا للخَلْقِ، ولا الخَلْقُ اسمًا للخَالق، والمرضيّ طريقة الشّيخ أبي الحسن. نقل القولَين الإمام أبو المعالي[3] في "**الإرشاد**" وغيره[4].

فكلام النّاظم على طريقة الشّيخ لا إشكال فيه. نعم؛ يبقى النّظر في قوله : "تَحَلّى"، فإنّ معناه يتّصف كما تقدّم، ونحن قد قلنا إنّه لا يرجع من الصّفة الفعليّة إلى الفاعل معنى، فنقول : ضمّن "تَحَلّى" دعا؛ أيْ يُدعى في ذلك المقام باسم منتقم. وأمّا على غير طريقة الأشعريّ فكلامه مشكل، ويمكن أنْ يُقال : إنّ قوله : "إذَا تَحلَّى الكَرِيمُ بِاسْمِ مُنْتَقِمِ"؛ تجوّز فيه؛ بإطلاق التحلّي على إظهار صفة الانتقام، وفيه ما لا يخفى. وأمّا القلق؛ فيزول إذا قلنا: ضمّن "تَحَلَّى" معنى دُعِي. وبالجملة لو بدّل هذه الألفاظ بغيرها لكان أولى، فإنّ المقام ضيّق[5].

---

(1) أي أبو الحسن الأشعري.

(2) انظر معنى لا إله إلا الله. بدر الدين الزركشي : ص 135.

(3) أي الجويني. واسم كتابه : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. وانظره : ص 141.

(4) انظر الإرشاد. أبو المعالي الجويني : ص 127. وكتاب معنى لا إله إلا الله. بدر الدين الزركشي : ص 135.

(5) أقول : لاحظ موضوعية الإمام ابن مرزوق رحمه الله، فمع إعجابه الشديد بنظم الإمام البوصيري رحمه الله تعالى، وغالبا ما كان ينتصر له، ويلتمس له الأعذار، إلاّ أنه لا يتوانى في أنْ ينتقده إذا تطلب المقام ذلك، ولا يتقبل منه كل شيء (على قلته)، وكل ذلك بأدب جم وأسلوب رفيع، دون غمط حقه، أو خفض من قيمته، أو تشكيك في عقيدته، فلله دره من فطين منصف.

وإذا قلنا : إنّ المراد بـ "الكريم" و"المنتقم" جنس مَن اتّصف بالوصفَين من المخلوقين؛ أيْ إذا اتّصف مَن شأنه الكرم والتّجاوز عن الهفوات بمدلول اسم منتقم؛ أيْ تَبَدُّل صفاته من الكرم إلى الانتقام، والأخذ بالجرائم؛ لشدّة الأمر كما قدّمنا ذلك كلّه في فصل الغريب، زال جميع الإشكال، وهو وجه حسن لا تكلّف فيه. والله تعالى أعلم.

وقال بعضهم : «إنّ قوله : "لَن يَضِيقَ .. إذا الكريمُ" تقييد، وجاهه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يضيق به في كلّ وقت. وأجاب : بأنّه من مفهوم الموافقة؛ أيْ إذا كان لا يضيق حينئذٍ، فبأن لا يضيق في غيره أحرى».

وقال أيضًا : «لا أحفظُ المنتقم؛ ورد عنه عليه السّلام في أسمائه تعالى». نعم في القرآن : ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ﴾[1].

قال : «ولعلّه على مذهب مَن يجيز إطلاق ما لا يُوهم من الأسماء، وإنْ لم يَرِد به سَمْعٌ».

قلتُ : أورده جماعة ممّن تكلّم في شرح أسماء الله الحسنى، وتكلّموا عليه[2]. وهذا البيت يحتمل من الكلام أكثر من هذا، وإنّما آثرنا الاختصار.

---

(1) سورة المائدة : من الآية 95.

(2) انظر مثلا المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. أبو حامد الغزالي : ص 139. وقال في معناه: هو الذي يقصم ظهور العتاة، وينكل بالجناة، ويشدد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار وبعد التمكين والإمهال.

[عظم جود النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسعة علمه]

قوله : "فإنَّ من جُودِكَ.." البيت؛ أيْ إنّما لا يضيق جاهك بي؛ لأنّه جاه عظيم، ومقامك مقام كريم، فإنّ لك جودًا بعضه نعيم الدّنيا والآخرة، أو من أجله وُجدت الدّنيا والآخرة، أو من أجله وُجد نعيمهما، ولك علوم بعضها علم اللّوح والقلم، أو من أجلها كان علم اللّوح والقلم، إمّا اللّوح المحفوظ، والقلم المخلوق أو المخلوقات، أو جنس اللّوح والقلم، وهي الّتي يكتُب فيها وبها الخلائقُ.

فإنْ قلتَ : ظاهر قوله : "فإنَّ" أنّ البيت تعليل لكون جاهه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يضيق عنه، وذلك في الجود ظاهر، وأمّا في العِلم فغير ظاهر، حتّى قال بعضهم : «إنّ قوله : "ومِنْ عُلُومِكَ" ليس معطوفًا على "مِن جُودك"، وإنّما هو مستأنف للمدح، و"عِلم اللّوح" مبتدأ».

قلتُ : الجاه : القَدْر والمنزلة كما تقدّم، والعِلم من أكبر أسباب علوّهما، ولذلك كان شرطًا في المناصب الشّريفة؛ كالإمامة العظمى والقضاء وإمامة الصّلاة، وقال تعالى حكاية عن يوسف الصدّيق عليه السّلام : ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1]. فذكر من الأوصاف ما يستحقّ به ذلك، وأدلّة هذا أشهر من أن تُذكَر، وأيّ قَدْر للجاهل :

وإنَّ كَبِيـر القَـومِ لا عِلْـمَ عِنْـدَهُ　　　صَغِيرٌ إذا الْتَفَّتْ عليه المَحافِلُ[2]

(1) سورة يوسف : من الآية 55.

(2) ينسب هذا البيت لعَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَك الحَافِظُ. انظر الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي: 385/5.

فإنْ قلتَ : أمّا أنّ الدّنيا والآخرة بعض جوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من أجل جوده، فظاهرٌ على ما وَرَد : «**لَوْلاَ هُوَ لَمَا خُلِقَتْ جَنَّةٌ وَلاَ نَارٌ**»[1]. وأمّا أنّ عِلم اللّوح والقلم من أجلِّ علومه، فظاهرٌ أيضًا؛ إذْ يُقال : إنّه راجع للأوّل. وأمّا أنّ بعض علومه، فمشكل؛ لأنّ الله تعالى كتب في اللّوح علم الكائنات؛ الّتي من جملتها الخَمس الّتي استأثر الله بعلمها؛ كما في الصّحيح من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**فِي خَمْسٍ مِنْ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا الله**». ثمّ تلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ.. ﴾ الآية[2].[3] فالنّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغيره من المخلوقين لا يعلم هذه الخمس، فكيف يكون ما تضمّنها بعضُ علومه، فيتعيّن أنْ يكون المراد باللّوح والقلم في كلامه جنسهما من الألواح والأقلام؛ الّتي يَكتُب فيها وبها الخلائقُ علومَهم كما ذكرتم ثانيًا.

قلتُ : لا نُسلّم أنّ هذه الخمس ممّا كُتب في اللّوح المحفوظ؛ إذْ لو كانت ممّا كُتب فيه، لاطّلع عليها بعض الملائكة المقرّبين عليهم السّلام؛ ممّن شأنه أنْ يطّلع على اللّوح الكريم. ولئن سُلّم أنّها فيه، وأنّ الله لم يطلع عليها أحدًا وإنْ كانت فيه، فالمعنى : وبعض علومك علم اللّوح والقلم الّذي يطّلع عليه المخلوق.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سورة لقمان : من الآية 134. والآية بتمامها : ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾.

(3) رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا في الإيمان. بَاب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ. ورواه غيره.

وفي بعض الشّروح : «إنْ قيل : إذا كانت الدّنيا من جوده، فلِم حُرم منها كثير من أُمّته، ونالها كثير من الكفّار؟ قيل : الإضافة للمفعول؛ أيْ "مِن جُودكَ" الّذي جيد به عليك، والله – تعالى- جاد عليه بالدّنيا، ففتح عليه منها ما فتح، ونصره بالرّعب، وأحلّ له الغنائم، وجعل له الأرض مسجدًا وطهورًا، وعُرضت عليه جبال تهامة ذهبًا وفضّة، وأمّا الآخرة؛ فهو فيها صاحب الحوض المورود، واللّواء المعقود، والشّفاعة العامّة. فإنْ قيل : إذا كان بعض علومه علم اللّوح والقلم، فما البعض الآخر؟ قيل : إنْ سُلّم كون "مِن" للتّبعيض حتّى يَرِد هذا السّؤال، فالمعنى : إنّ عِلم مادّة اللّوح والقلم الّتي خُلِقا منها من بعض علوماتك، فإنّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصل إلى مستوى؛ سمع فيه صرير القلم في اللّوح[1]، فقد يكون رؤيته اللّوح بما فيه بعض علوماته، أو نقول : البعض الآخر ما أخبر عنه من أحوال الآخرة ممّا ليس في اللّوح؛ لأنّ القلم إنّما كتب في اللّوح ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة».

قلتُ : وهو كلام فيه أبحاث في مواضع تركناها خشية الملل.

---

(1) سبق تخريجه.

والخطاب في "قُلْ" من الخطاب العام. ونداء "الزلّة" للتعجّب، وهو للنّدبة، وفي ضمنه عِظَم الأمر النّازل به. و«أل» في "القَدَمِ" للعهد؛ أيْ قدمي.

"حَاشَاهُ"؛ إنْ كان فعلاً فهو يفيد الحدوث والتجدّد، وأنّ تلك الصّفة الّتي نُزّه عنها تتجدّد له بحسب الحاجة إليه فيها، وإنْ كان اسمًا أفاد الثّبوت والاستقرار؛ أيْ تلك صفة لازمة له، والاحتمال الأوّل بحسب الفعل، والثّاني بحسب القوّة، والتّعبير بقوله : "أنْ يَحْرِمَ" و"يَرجِعَ" يُرجّح الأوّل، ولو كان اسمًا لقال: حرمان، و"مَكَارِمَهُ" و"غيرَ مُحتَرَمِ" بالعكس في التّرجيح. و«أل» في "الرّاجي" و"الجار" للجنس، وعبّر بالاسم فيهما لتحقيق ثبوت مدلولهما. وأضاف "المكارم" إلى ضميره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّ المكارم من صفاته، وإنْ كان في الحقيقة على حذف مضاف؛ أيْ ثمرات مكارمه. ولمّا كان الاحترام فعلاً من أفعاله لم يُضفه إليه، بل قال : "منه"، وهذا على أنّ هاء "مكارمه" تعود عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجمع "الأفكار" تنبيهًا على أنّه لا فكر له إلاّ وهو يدلّه على أنّ طريق نجاته مدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجمع "المدائح" لذلك؛ أيْ كلّ نوع منها سبب في النّجاة، أو تنبيهًا على أنّها لا تتناهى؛ ولذا جمعه بصيغة الجمع الّذي لا نظير له، بخلاف "أفكاره"؛ لمّا كانت متناهية، لا سِيَّما باعتبار مدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنّه لا يفكّر في نوع من مدح، إلاّ وفوقه أرفع منه؛ فلِذا جمعها جمع قلّة؛ إذ لا تحيط أفكاره بأنواعها، وهذا المعنى مقرّر في قوله : "فَما تَطَاوُلُ آمَالُ المَدِيحِ.."

البيت. وقدّم "لخَلاَصِي" على "خَيْرَ مُلْتَزم" للقافية والاهتمام بذكره في هذا المقام والرّغبة في طلبه وحصوله، وفي الثّاني نظر. وقوله : "ومُنذُ أَلزَمْتُ.." البيت؛ هو كالتّذييل للبيت قبله.

ونفي فَوْت الغنى لليد التّرِبة بـ "لَنْ" لتأكيد الخبر؛ فإنّها آكد من "لا"، لا سِيَّما عند مَن يرى أنّها للتّأبيد[1]. و«أل» في "الغنى" تحتمل الحقيقة والجنس. وقدّم "منه" على "يدًا" لأنّه أهمّ. وتنكير "يدًا" للعموم؛ لأنّه نكرة في سياق النّفي، أو للتّقليل؛ أيْ وإنْ قلّت فلا يخطئها، أو للتّكثير؛ أيْ وإنْ كثُرت فلا يعيى بها، أو للأمرَين معًا، أو للنّوعيّة لوصفها. وجملة "إنَّ الحَيَا.." مستأنفة جواب سؤال مُقَدَّر؛ أيْ لِم قلتَ ذلك؟ فقال : لأنّه يُشبه الحَيَا، والحَيَا يُنبِتُ.. إلى آخره. و"أل" في "الحَيَا" و"الأزهار" و"الأكَم" للجنس. وأكّد "الحَيَا" بـ"إنّ"؛ لأنّ الخطاب مع المنكر أو الطّالب السّائل. ولمّا أراد بـ "الأزهار" متاع الآخرة جمعها تنبيهًا على كثرتها وعن تناهيها باعتبار المنتهى.

ولمّا كان متاع الدّنيا قليلاً وحّد زهرتها، وأتى بها بصيغة المصدر المختوم بالهاء؛ للدّلالة على المرّة، كأنّها مرّة واحدة. وأضافها إلى "الدّنيا" تحقيرًا لها، وأنّها ليست بزهرة إلاّ بالإضافة إليها، وأمّا نعيم الآخرة فأزهار في نفسها لا بالإضافة.

والنّداء في قوله : "يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ" التفات كما قرّرنا في التّفسير. و«أل» في "الخَلْق" للجنس عند مَن يرى الأنبياء أفضل من الملائكة على الجميع السّلام، أو للعهد عند من لا يراه. والقصر في قوله : "ما لي مَنْ

(1) أي الزمخشري، وسبق توثيق المسألة.

أَلُوذُ به سِوَاكَ" حقيقيّ، وهو من قصر الصّفة على الموصوف. والإبهام في "مَنْ أَلُوذُ" للتّعظيم سواء كانت موصولة أو نكرة موصوفة. و«أل» في "الحادِث" للعهد.

والنّفي بـ "لَنْ" في "لَن يَضِيقَ" مثله في "ولَن يَفُوتَ". و"رسولَ الله" منادى، وليس هو التفاتًا من الخطاب إلى الغيبة؛ لأنّه من إيقاع الظّاهر موقع المُضمر الّذي هو المخاطَب؛ لأنّ الفاعل "جاهك". و«أل» في "الكريم" إمّا للعهد أو للجنس كما تقدّم، فإنّ تقديم الفاعل للتّعليل، وتقديم "مِنْ جُودِكَ" و"مِنْ عُلُومِكَ" - وهما الخبران - على المبتدأين؛ لأنّهما أهمّ في الذّكر.

تسمية الإيمان "عهد"؛ الظّاهر أنّه حقيقة. وتسمية ما تمسّك به من فروعه "حبلاً"؛ الظّاهر أنّه مجاز من نوع الاستعارة منه؛ لأنّ العبادات لمّا كانت سببًا في نيل الثّواب، يُتوصَّل بها إليه، أشبهت الحبل الّذي يُتوصَّل به إلى الأشياء البعيدة، ولمّا كان إطلاق العهد على الإيمان حقيقة، كان وصفه بنفي الانتقاض كذلك، ولمّا كان إطلاق الحبل على العبادات مجازًا، كان نفي الانصرام عنها كذلك؛ تشبيهًا لقطع الإتيان بها بانقطاع الحبل. وإطلاق الذمّة على التّسمية بالاسم؛ يحتمل الحقيقة والمجاز.

وتسمية الإنقاذ من الهلاك بالأخذ باليد والوقوع فيه بـ "زلّة القدم"؛ الظّاهر أنّه من باب الاستعارة أيضًا، ووجه التّشبيه ظاهر جليّ. وانظر هل يصحّ مع ذلك أنْ يكون من الاستعارة بالكناية، أو من المجاز المركّب المَسَمَّى بالتّمثِيل، ويحتمل أنْ يكون من استعارة محسوس لمحسوس، وهو الأظهر، أو من استعارة محسوس لمعقول. والظّاهر في ألفاظ "الرّاجي" و"المكارم" و"الجار" و"محترم" الحقيقة.

وقوله : "أَلْزَمْتُ أفكَارِي"؛ أظهر ما فيه أنْ يكون من مجاز الحذف، والتّقدير : ذات أفكاري؛ أيْ نفسي.

والمراد باليد في قوله "يدًا" الذّات، فهو مجاز مرسل؛ من تسمية الكلّ باسم البعض. وإطلاق "تَرِبت" على افتقرت؛ الظّاهر أنّه من الكناية؛ لأنّ لازم اليد المفتقرة أنْ لا تصل إلى شيء تتناوله إلاّ التّراب الّذي لا يعدمه أحد. والتّشبيه في قوله : "إنّ الحَيَا" مثله في قوله : فإنَّ

المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ[1]، وقد تقدّم تقريره غير مرّة. ويحتمل أنْ يقصد تشبيه الهيئة الحاصلة من نَيْل الغنى لليد التّرِبة بالهيئة الحاصلة من نَيْل المطر الأزهار للأَكَم. ويحتمل أنْ يقصد تشبيه كلّ من النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وغناه واليد التَّرِبة بكلّ من المطر والأزهار والأَكَم، فعلى الأوّل هو من تشبيه متّحد بمتّحد، وعلى الثّاني من تشبيه متعدّد بمتعدّد. أو المقصود أنّ نسبة النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وغناه من اليد التّرِبة كنسبة المطر وأزهاره من الأَكَم. وإسناد الإنبات إلى "الحَيَا" من المجاز العقلي؛ لأنّه سببه، والظّاهر أنّ إسناد "الفوت" إلى "الغنى" من ذلك. و"حلول الحادث"؛ إنْ كان بمعنى وقوعه فحقيقة، وإنْ كان بمعنى حلّ بالمكان؛ فمِن تشبيه المعنى الحادِث بالشّخص النّازل، ووصفه بـ "العَمِمِ" من هذا المعنى الأخير.

ونفي "الضّيق" عن "الجاه" تشبيه له بالمكان الرّحب.

---

(1) هو للمتنبي، وسبق توثيقه، والبيت بتمامه :

فإن تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ ... فإنَّ المِسك بعضُ دمِ الغزالِ

في البيت الأوّل الطّباق الخفيّ؛ لجمعه بين إتيان الذّنب – وهو معصية – ونفي "النّقض" و"الانصرام" عن "العهد" و"الحبل"؛ وهو طاعة. ولمّا كان "ما عَهدِي بمُنتَقِضٍ" بمعنى ما أتيت هذا الذّنب، كان من طباق السّلب، وفيه طباق من وجه آخر؛ لذِكره في الذّنب ما يدلّ على التجدّد، وفي الطّاعة ما يدلّ على الثّبوت كما تقدّم في المعاني. وفي "العهد" ونفي الانتقاض مراعاة النّظير، وكذا في "الحبل" ونفي الانصرام. وأمّا "العهد" و "النّقض"، و "الحبل" و "الانصرام" فمن الطّباق. وهذا البيت والأبيات بعده كلّها من المذهب الكلاميّ، ومن الكلام الجامع. وإضافة نفي الانتقاض إلى "العهد"، ونفي الانصرام إلى "الحبل" من التّقسيم. و"بمنصرم" من الإرصاد، وإنْ صحّ أنْ يقع موضعه "بمنفصم"؛ من قوله تعالى : ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[1] كان من التّخيير.

(1) سورة البقرة : من الآية 256.

[حقيقة التّخيير]

وهذا اللّقب تكرّر في هذا الشّرح مرارا، وأظنّ أنّي ذكرت حقيقته[1]، ورأيتُ أنْ أعيد ذكره هاهنا لطول العهد به، وأذكر مثالاً منه، أمّا حقيقته : «فَأَنْ يَأْتِي الشَّاعِرُ بِبَيْتٍ يَسُوغُ فِيهِ أَن يُقَفَّى بِقَوَافٍ شَتَّى، فَيَتَخَيَّرُ مِنْهَا قَافِيَةً مُرَجَّحَةً عَلَى سَائِرِهَا؛ تَدُلُّ بِتَخْيِيرِهَا عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِهِ»[2].

وأمّا مثاله فكقول ديك الجنّ[3] :

قُولِي لِطَيْفِكِ يُثْنِينِي عنْ مَضْجَعِي عِنْدَ المنامْ / الرّقاد / الهجوع / الهجود
فَعَسَى أَنَامُ فَتَنْطَفِـي نَارٌ تَأَجَّجُ فِي العِظَامْ / فؤاد / ضلوع / كبود
جَسَـدٌ تَقَلَّبُهُ الأَكُفُّ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ سِقَامْ / قتاد / دموع / وقود
أَمَّا أَنَا فكَما عَلِمْتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنَ دَوَامْ؟ / معاد / رجوع / وجود

فالبيت الأوّل يصلح في قافيته كما ترى المنام والرّقاد والهجوع والهجود، وهي القوافي المكتوبة في سطره، وكذا كلّ بيت بعده يصلح لقوافيه ما في سطره، كلّ قافية تصلح مع موافقتها في الروي. والرّاجح ما أثبته أوّلاً يظهر بالتأمّل.

ويُرجِّح قافية النّاظم كثرةُ استعمال الانصرام مع الحبل؛ لأنّ الحبل سبب موصل، والانصرام قطع، بخلاف الانفصام فإنّه كسر من غير إبانة يناسب الأشياء الصّلبة كالعود ونحوه.

---

(1) أول ما أورد الإمام ابن مرزوق مصطلح "التخيير" هو في شرحه لقول الناظم : "فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًا..". ولم يذكر حقيقته قبل ذكره هنا.

(2) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي : 175/1.

(3) انظر الأبيات في خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي : 175/1.

والبيت الثّاني من المذهب الكلاميّ باعتبار البيت الّذي قبله خصوصًا؛ فإنّه دليل على صحّة دعواه فيه، وتقريره : أنا لي ذمّة منه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بتسميتي باسمه، وكلّ مَن له منه تلك الذمّة فعهده غير منتقض منه، وحبله غير منصرم منه، فأنا عهدي ليس بمنتقض منه، وحبلي غير منصرم منه[1]. وفيه حسن التّعليل. وفيه ردّ الصّدور على الأعجاز في "ذمّة" و"الذّمم"، وهو من التّوشيح أيضًا. وفيه الإرصاد. و"الوفاء" و"الذمّة" من مراعاة النّظير.

وفي البيت الثّالث التّقسيم، وهو مِن التّقسيم الحاصر؛ لأنّه ليس هناك إلاّ أنْ يأخذ بيده فينجو، أو يترك فيهلك.

قال بعضهم : «وفيه حسن التّعليل؛ لأنّ فيه ذكر الحُكم؛ وهو إخباره عن نفسه بهلاكه». وعلّل ذلك بتركه عليه السّلام أنْ يأخذ بيده.

قال : «وحسن التّعليل قسمان؛ تَقَدُّم ذكر العلّة كما هنا، وتَقَدُّم ذكر المعلول؛ كقوله[2]:

قَـدْ قَـالَ قَـوْمٌ أَعْطِـهِ لِقَدِيمِـهِ   جَهِلُوا ولكنْ أَعْطِنِي لِتَقَدُّمِي

ففيه حسن التّعليل في قوله "لِقَدِيمِهِ"؛ أيْ لشرف سلفه، وفي قوله "لِتَقَدُّمِي"؛ أيْ على أقراني، لا لشرف سلفي. وقدّم في الموضعَين المعلول على علّته». انتهى. فتأمّله.

---

(1) يبدو أنّه أخر المقدمة الكلية في هذا القياس.

(2) ينقله الكتّاب ولا ينسبونه. انظر البيت في الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري: 73/1.

وفي البيتين الطّباق باعتبار الشّرطَين المذكورَين والجوابَين المذكور والمُقدَّر. وذِكْر "اليد" و"القدم" من مراعاة النّظير، وكذا "الزّلة" و"القدم". وإضافة نفي حرمان المكارم إلى "الرّاجي"، ونفي الاحترام إلى "الجار" من التّقسيم. و"الجار" و"الرّاجي" من قلب الكلّ إنْ قُطع النّظر عن الياء، وإلاّ فمن قلب البعض.

قال بعضهم : «والحرمان والمكارم من الطّباق. و"يَحْرِمَ" و"مُحتَرَمِ" من تجنيس الاشتقاق. و "أَلزَمْتُ" و"مُلتَزِمِ" من ردّ الصّدور على الأعجاز». وجعله بعضهم من العكس والتّبديل.

قال : «كقوله[1]:

فَلاَ مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَالَ في الدُّنْيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

بدأ بالمجد، وختم به، كما أتى النّاظم أول البيت بـ "ألزمتُ"، وختمه بـ "ملتزم"». انتهى.

وهو سهو، فإنّ ما جعله من العكس والتّبديل في الشّاهد، وإنّما هو من ردّ الصّدور على الأعجاز، وإنّما العكس والتّبديل فيه من جهة عكس جملة الشّطر الأوّل بكماله في الشّطر الثّاني.

و "أَلْزَمْتُ" و"وَجَدْتُ" من الموازنة. و"أَلْزَمْتُ" و"مُلْتَزِم" من تجنيس الاشتقاق. وفي البيت شبه المزاوجة. وجعله إلزام الفكر المدائح سببًا للخلاص من حسن التّعليل.

(1) هو المتنبي. وسبق توثيق البيت.

وجمع "الغنى" و"ترِبت" من الطّباق. و"الحَيَا" و"الأزهار" و"الأَكَم" من مراعاة النّظير. وقوله : "إنّ الحَيَا" من حسن التّعليل ومن إرسال المثل ومن الكلام الجامع.

ويحتمل أنْ يُحمل كلامه على معنًى يكون معه من التّورية؛ بأنْ يكون "الحَيَا" له معنيان؛ قريب وهو المطر، وبعيدٌ - مرادٌ هنا - وهو الحشمة، وإنبات الأزهار كناية عن العطايا الّتي يفيدها، والأَكَم كناية عن منزلته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرّفيعة، وهي من التّورية القريبة؛ لاقترابها بما يلائم المُوَرّى به.

لا يُقال : لا يصحّ ادّعاء التّورية؛ لأنّ "الحَيَا" الّذي هو المطر مقصور، والّذي بمعنى الحشمة ممدود، فهما لفظان، والتّورية إنّما تكون في اللّفظ الّذي له معنيان.

لأنّا نقول : يحتمل أنْ يريد الحشمة، وقصره للضّرورة، فلمّا قُصر الممدود صار مشتركًا. وفيه تعسّف.

وبعضهم يسمّي نحو قوله : "زَهرَةَ الدّنيا" مع قوله : "الأزهارَ" من ردّ الصّدور على الأعجاز؛ أيْ صدر البيت على عجز الّذي قبله.

وجمع "الزّهرة" و"القطف" و"اليد" من مراعاة النّظير. و"زهرة" و"زهَير" من التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق. وفي البيت التّلميح إلى قصّة مدح زُهَير هَرَم بن سنان وإثابته على ذلك، ولفظة "هَرَم" من الإرصاد عند العالم بتاريخ زهير.

و"أكرم" و"أَلُوذُ" من التّناسب. وقوله : "يا أكرم.." البيت من "**الإفصاح بالمطلوب**"، وهو من المواضع الّتي ينبغي أنْ يُتأنّق فيها، وليس هي بمحصورة في الثّلاثة أو الأربعة على ما تقدّم أوّل النّظم كما زعم بعضهم[1]، وإنّما طُلِب التَأنّق في تلك على سبيل التّأكيد فيها.

ونفي الضّيق عن "الجاه" من التّناسب. والجمع بين لفظَي "الكريم" و"المنتقم" من الطّباق الخفيّ؛ لاستلزام الكريم التّجاوز والعفو، وهما ضدّ الانتقام.

وقوله : "الدّنيا وضَرَّتها" من الطّباق. وجمع "العِلم" و"اللّوح" و"القلم" من مراعاة النّظير. ولفظ "القلم" من الإرصاد. وجمع "الدّنيا" و"الآخرة" في كونهما من "جُودِه" من الجمع، وكذا "عِلم اللّوح" و"القلم" في كونهما من عِلمه. وإضافة "الدّنيا" و"الآخرة" إلى "جُودِه"، و"عِلْم اللّوحِ وَالقَلَمِ" إلى "عِلمه" من التّقسيم. والبيت من المذهب الكلاميّ، ومن حسن التّعليل للّذي قبله خصوصًا، وهو من الكلام الجامع.

---

(1) الموضع الأول هو براعة الاستهلال. والموضع الثّاني هو الخروج ممّا قدّم في كلامه إلى المقصود. والموضع الثّالث هو الختام. وزاد الطيبي رابعًا وهو المطلب. وقد أوردها ابن مرزوق في شرح أول أبيات القصيد. انظر التفاصيل في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 390 وما بعدها.

الْإِعْرَابُ

آت : فعل مضارع مجزوم بـ "إنْ" الشّرطية. وفاعله ضمير المتكلّم، وعلامة جزمه حذف الياء، وأصله أَأْتي؛ همزة المضارعة مفتوحة، وفاء الكلمة ساكنة، فأُبدِلت ألفًا، وإذا اجتمعت همزتان فكلّ العرب على تخفيف إحداهما إلاّ القليل(1). ذنبا : مفعول. والفاء رابطة جواب الشّرط به.

وما : نافية.

عهدي : مبتدأ. وبمنتقض : خبره.

فإنْ جعلت "ما" حجازيّة، فالمجرور منصوب، وإنْ كانت تميميّة فهو مرفوع، وهذا على رأي من يجيز زيادة الباء في خبر التّميميّة.

والجملة وما تعلّق بها وما عُطف عليها جواب الشّرط.

من النّبيّ : متعلّق بـ "منتقض". قيل : ولا يصحّ تعلّقه بـ "عهدي"؛ لأنّ "بمنتقض" فصل بينهما، والمصدر لا يُفصل بينه وبين معموله بأجنبيّ. وفيه نظر.

ولا حبلي بمنصرم : إعرابه كإعراب الجملة قبله في الوجه الثّاني، وزيادة الباء في الخبر قليل، ولا يصحّ عمل "لا" هنا عمل "ليس"؛ لأنّها لا تعمل كذلك على المشهور والغالب إلاّ في النّكرات، و"حبلي" معرفة.

---

(1) وقال سيبويه : وقد سمع أبو زيد من يقول : اللهم اغفر لي خطائئي. قال همزها أبو السمح ورداد ابن عمه وهو شاذ. انظر شرح المفصل. ابن يعيش : 279/5.

يكن : مضارع مجزوم بـ "لَم".

و"لم يكن" محلّه جزم بـ "إنْ".

واسم "كان" ضميره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخبرها "آخذا".

وفي معادي : متعلّق بـ "يكن"، أو بـ "آخذًا".

وفضلاً : مفعول من أجله، وعامله "آخذًا".

وإلاّ : هي "إنْ" الشّرطيّة زِيدت عليها "لا" النّافية رفعًا لِما قبلها من النّفي، فتكون موجبة؛ لأنّ نفي النّفي إيجاب، واستغني بها عن الشّرط وجوابه؛ لدلالة السّياق كما تقدّم، وإذا دلّ الدّليل على فعل الشّرط، جاز أنْ يُحذف، ويُستغنى عنه بالجواب؛ نحو قوله[1] :

فَطَلِّقْهـا فَلَسْـتَ لهَـا بكُـفْء   وَإلاّ يَعْـلُ مَفرِقَـك الحُسَـامُ

فقوله "وإلاّ"؛ أيْ وإلاّ تطلّقها، فحذف فعل الشّرط الّذي هو "تطلّقها"؛ لدلاله السّياق، وإذا دلّ الدّليل على الجواب، جاز أنْ يُحذَف، ويُستغنى عنه بالشرط؛ نحو قوله تعالى : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾[2]؛ أيْ إنْ أرادوا وليًّا بحقّ. وقد يُحذف الشّرط وجوابه كما هنا، ومنه قوله[3] :

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلْمَى وإنْ   كَانَ عييًا مُعْدِماً قَالت : وَإِنْ

أيْ : وإن كان كذلك أتزوّجه.

(1) هو الأحوص الأنصاري، يخاطب به رجلا، ويأمره بأن يطلق امرأته. انظر الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري : 263/2.

(2) سورة الشورى : من الآية 9.

(3) ينسبه النحاة لامرأة من العرب ولرؤبة بن العجاج. وسبق توثيقه.

ولخلاصي : متعلّق بـ "وجدتُ".

والظّاهر أنّ جملة "وجدت.." معطوفة على جملة "حاشاه.."، والتّقدير : ووجدته لخلاصي خير ملتزم منذ ألزمت أفكاري مدائحه، فالواو الدّاخلة على "منذ" هي في الحقيقة داخلة على "وجدته"، فقدّم وأخّر للضّرورة.

الغنى : فاعل "يفوت". ومنه : يتعلّق به. و"من" للابتداء. ويدًا : مفعول.

وجملة "تربِت.." : صفة لـ "يدًا".

وفي الأَكَم : متعلّق بـ "يُنبِت".

وجملتا "لن يفوت.." و"إنّ الحَيَا.." : مستأنفتان.

زهرة الدّنيا : مفعول "أُرِد".

والّتي : صفة "زهرة". وقَطَفَتْ : صلة "الّتي".

ويدا زُهير : فاعل، ومضاف إليه. وعائد الصّلة محذوف؛ أيْ قطفتها.

ويحتمل أنْ يكون فاعل "قطفت" ضمير يعود على "زهرة الدّنيا"؛ أيْ أبانت. و"يدا زهير" مفعول؛ إمّا على لغة بني الحارث في إلزام المثنّى الألف[1]، أو على أنْ يكون "يدا" مفردًا؛ أيْ يد زهير، ويكون على لغة مَن يقصرها؛ كعصا؛ ومنه :

---

(1) قال الفراء : لغة بني الحارث بن كعب: يجعلونَ الاثنين فِي رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وأنشدني رجلٌ من الأسد عنهم. يريد بني الحارث:

فأَطرق إطراق الشجاع ولو يرى   مَسَاغًا لِناباه الشجاعُ لصَمّما

انظر معاني القرآن. الفراء : 184/2.

يـا رُبّ سَـارٍ بَـاتَ مـا توسَّـدا   إلاّ ذِراعَ العَنْسِ أو كفَّ اليدا[1]

ويُروى هذا البيت "قَطَعَتْ يَدَا زُهَيْر" بالعين مكان الفاء من القطع، والتّقديران في اليد مع العين كحالهما مع الفاء، والمعنى كالمعنى سواء. والمعنى الّذي تقدّم في التّفسير أنّ "يدا زهير" هي الّتي قطفت زهرة الدّنيا؛ الّتي هي كناية عمّا أخذ من هرم من ثواب مدحه، وكذا هو أيضًا مع العين؛ أيْ أنّ "يدا زهير" قطعت زهرة الدّنيا؛ أيْ أخذت ثواب المدح. ويحتمل أنْ يكون المعنى مع العين : لم أُرِد زهرة الدّنيا الّتي تقطع أيدي مريديها، كما أراد زهير من زهرتها الّتي قطعت يديه، والمراد بيدَيه ذاته، فهو من تسمية الكلّ باسم بعضه، وإنّما لم أذكُر هذا الوجه في التّفسير؛ لأنّ فيه تكلّفاً، ولأنّ الرّواية بالعين لم تثبت عندي، مع أنّه لا يمتنع جريانه مع الفاء أيضًا، إلاّ أنّه مع العين أمكن.

بما : متعلّق بـ "قطفت"، والباء سببيّة، و"ما" مصدريّة.

وفاعل "أثنى" ضمير "زُهير"؛ أيْ بثنائه، ويجوز كونها موصولاً اسميًا، والعائد المحذوف مجرور؛ أيْ بالّذي أثنى به.

وعلى هرم : متعلّق بـ "أثنى".

وما : نافية.

ومَن : مبتدأ، وهي نكرة موصوفة، أو موصولة، والأوّل أدلّ على العموم.

وألوذ : صفة، أو صلة.

---

(1) هذا البيت ينقله النحاة ولا ينسبونه لأحد. انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 477/7.

وبه : يتعلّق بـ "ألوذ"، والهاء عائد على "مَن"، وهو الرّابط.

ولي : خبر "مَن".

وسِواك : استثناء من النّفي بمعنى غَيْر، إلاّ أنّه منصوب على الظّرف على رأيْ سيبويه، والعامل فيه العامل في الخبر، وهي على رأي مَن يرى تصرّفها بدل من "مَن"، أو من الضّمير في الخبر، والكاف على القولَين مضاف إليه[1].

وعند : متعلّق بالخبر أيضًا، وهو ظرف زمان؛ أيْ عند وقت حلول كما تقدّم. ولا يصحّ أنْ يعمل في "سِوى" و"عند" "ألوذُ". قال الأستاذ القصّار : «لأنّه لو عمل فيهما لكان استثنى قبل كمال النّفي، ولا يكمل النّفي إلاّ بالخبر». فتعيّن أنّ العامل في "سِوى" هو الخبر، ولو عمل في "عند" لكان من الصّلة، ويكون حينئذٍ فصلٌ بين أجزاء الصّلة بأجنبيّ؛ وهو "سِوى".

العَمِمِ : نعت لـ "الحادث".

رسول الله : منادى مضاف، حُذف منه حرف النّداء.

جاهك : فاعل "يضيق".

الكريم : فاعل بفعل مُضمر يدلّ عليه "تَحَلَّى" من باب الاشتغال؛ أيْ إذا تحلّى، هذا رأي سيبويه؛ لأنّ "إذا" عنده من الظّروف المستقبلة الّتي لا تدخل إلاّ على فعل؛ إمّا ظاهرٌ، وإمّا مُضمرٌ. والكريم عند الأخفش مبتدأ؛ لأنّه يجيز أنْ يليها الاسم، والخبر "تحلّى"، فهو في محلّ

(1) سبق توثيق المسالة.

رفع، ولا محلّ له على الرّأي الآخر؛ لأنّها جملة مفسّرة[1]. وجواب "إذا" عند الجمهور محذوف يدلّ عليه السّابق، وليس "هو" السّابق؛ لأنّهم لا يجيزون تقدّم جواب الشّرط؛ أيْ إذا تحلّى الكريم فلن يضيق، ومَن يجيز تقدّم جواب الشّرط - جازمًا كان أو غير جازم - فـ "يضيق" المتقدّم هو العامل، و"باسم" متعلّق بـ "تحلّى".

والدّنيا : اسم "إنّ". وضرّتها : عطف عليها. ومن جودك : خبرها.

ومِن علومك.. إلى آخر البيت : معطوف على "من جودك الدّنيا"؛ الخبر على الخبر، والاسم على الاسم. وكرّر حرف الجرّ لئلاّ يكون مِن العطف على معمولَي عاملَين؛ لأنّه لو قال : "وعُلُومك عِلم اللّوح والقلم"، لعُطف مخفوضًا على مثله ومنصوبًا على مثله، وفي نيابة الحرف الواحد مناب شيئَين في حين واحد خلاف، منعه سيبويه، وأجازه الأخفش[2].

ويجوز أنْ يكون "ومِنْ عُلُومِك" مستأنفًا؛ فيكون خبرًا، و"عِلْمُ اللَّوْحِ" مبتدأ.

---

(1) انظر رأيي سيبويه والأخفش في شرح التسهيل : ابن مالك : 213/2.

(2) نقل ابن هشام الأنصاري الإجماع عَلى منع الْعَطف على معمولي أَكثر من عاملين، ونقل أبو علي الْفَارِسِي الْجَوَاز مُطلقًا عَن جمَاعَة، وَقيل إِن مِنْهُم الْأَخْفَش. انظر مغني اللبيب : ص 632.

فإنْ قلتَ : قوله : "يا نفسُ.." البيت، وقوله : "لعلّ.." البيت من موجب الرّجاء أيضًا، فهي أكثر من ضعف الخوف.

قلتُ : ليس البيتان من موجب الرّجاء، بل نتيجتان له، ومسبَّبَان عنه؛ لأنّهما إخبار منه للنّفس بتحقيق المرجوّ.

[التوسّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد مماته]

فقوله : "إنْ آتِ.." البيت؛ مَن اجترأ على الله - مولاه - وعصاه، ثمّ تاب وتوسّل إليه في الغفران بحبيبه محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومصطفاه، تاب الله عليه، واجتباه وهداه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1].

ولا تظنّن أنّ ذاك خاص به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حال حياته، بل هو باقٍ مستمر بعد موته، وحديث الأعرابيّ المذكور في كتاب "الشّفا" للقاضي دليل على هذا[2].

---

(1) سورة النساء : من الآية 64.

(2) انظر الشفا. القاضي عياض : 322/1. وسبق عرض الحديث وتخريجه قريباً.

[النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوفى الخَلق بالذّمم]

مهما حُفظ رأس المال رَجَى حيرانٌ الخسران في الرّبح، فرأس المال أنْ لا ينتقض عهدك من أصل دين النّبيّ، وأنْ لا ينصرم حبلك من أصول طاعته، ولا تحتقرنّ من التذمّم بذممه والاعتصام بحرمه أدنى شيء من سببيته، ولو بالتسمّي بتسميته، فإنّ ذمّته وافية، وهمّته عالية، وأنّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أكرم الأمم، وأوفى الخَلق بالذِّمَم، وأكبر التذمّم بذمّته الاقتداء بسُنّته، وذلك بالتزام الطّاعات، وترك المخالفات، ولا تحقرنّ شيئًا من الطّاعات؛ فإنّ الله - جلّ جلاله - أخفى رضاه في طاعته، كما أخفى وليّه في خَلْقه، ولا تظننّ أنّ باتّباعك سُنّته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تكون لك بذلك عنده يد، فإنّك وإنْ أجهدتَ نفسك في ذلك بقَدْر المقدرة، لم تصل إلى عُشر المِعشار ممّا كُلّفت به من ذلك : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[1]. فلا تمنّنّ عليه بذلك، فإنّك لم توفِّ ما عليك، فضلاً عمّا تدّعيه من الفضل، فالله ورسوله أمنّ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

فإنْ لم يكن - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في معادك وحشرك آخذًا بيدك تفضّلاً من الله تعالى، ثمّ منه عليك، أنْ لا تزلّ قدمك، فتقع في تلك المهالك، وتنجو من ضيق تلك المسالك، فقُلْ بقرينة حالك، وبلسان مقالك : يا زلّة القدم، ويا حسرتي حيث لا ينفع التّحسّر والنّدم. وإلاّ إنْ أخذَ بيدك، فقُلْ : يا عِظَم سعدك.

---

(1) سورة عبس : الآية 23.

(2) سورة الحجرات : الآية 17.

وإيّاك أنْ تقول : ما يفعل تفضّلاً؛ قد يكون، وقد لا.. فيضعف إذْ ذاك الرّجاء، ويقلّ السّعي في الاعتماد على الالتجاء، فإنّ ذلك إنّما يُقاس به سواه، وأمّا هو فحاشاه، ثمّ حاشاه، فإنّه مُنزّه عن أنْ يَحْرِمِ الرّاجي مكارمَه الّتي فاقت كلّ فضل وكرم، أو يَرْجِع الجارُ المستجير به غير معظّم ولا محترَم.

ثمّ يقول النّاظم : إنْ شككتَ في أنّه يخلّص في القيامة بشفاعته من داء الذّنوب الّذي لا يخلّص منه سِواه من أبناء الآخرة؛ وهم الأنبياء عليهم السّلام، فاعتبر بتخليصه في الحال من الدّاء الّذي عجز عنه أبناء الدّنيا؛ وهم الأطبّاء، فإذا كان حاله في هذه الدّار ما ترى، وليس من أبنائها، فكيف تظنّ أنْ يكون في الآخرة، وهو أكبر أوليائها. ولا أخبرتك إلاّ عمّا شاهدتُ، وما أثره في جسمي ونفسي عاينتُ، فإنّي منذ ألزمتُ أفكاري مدائحه، وجدتُه لخلاصي خير ملتزم، وإذا كان ممّا يُنال ببركته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صحّة الأجسام، فكيف يفوت الغنى منه يدًا افتقرت، والصحّة أصل سائر الإنعام، وكيف يفوتها أيضًا، وهو - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كالحَيَا الّذي تعمّ بركته كلّ مكان؛ حتّى يُنبت الأزهار في الأَكَم، غير أنّ الغنى الّذي يُكتسب بصحّة الأجسام مالٌ فانٍ وطاعاتٌ باقية، فهو منقسم؛ فمنه الدّائم والمنصرم، وجميعهما مبتغى من فضله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن إحسانه مغتنم.

المؤمنين، فإنّ همّة المؤمن أعلى من أنْ يجعل سعيَه للدّنيا، فضلاً عن أنْ يتوسّل إلى الله – تعالى – في نيلها بمدح أعظم الخلائق عند الله، وإنّما التوسّل بالمديح في نيل زهرة الحياة الدّنيا أخلاق الكافرين؛ كزُهير في مدحه هرمًا، بل إنّما يتوسّل المؤمن برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في كشف كربات القيامة؛ وهو الحادث العَمِم، ودفع ما يمنع من العبادات من بلايا الدّنيا، كما فعل النّاظم، فيقول كقوله : "يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ.." البيت.

"وَلَنْ يَضِيقَ.." البيت، وإنّما يطلب منه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كشف كربات الدّنيا والآخرة؛ لأنّ من جوده الدّنيا والآخرة، وكانت له تلك المنزلة العظيمة بعد تخصيص الله – سبحانه وتعالى – إيّاه بها؛ لأنّ علومه كثيرة، حتّى إنّ منها عِلم اللّوح والقلم، وزيادة العِلم موجبة لزيادة رفع المنزلة : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾[1]. ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[2]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]. ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ ﴾[4]. ﴿ وَلَقَدْ

---

(1) سورة المجادلة : من الآية 11.

(2) سورة يوسف : من الآية 55.

(3) سورة البقرة : من الآية 247.

(4) سورة الأنبياء : من الآية 79.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2].

اللّهمّ يا مَن يخصّ مَن يشاء بما يشاء، هَبْ لنا من لدنك علمًا نافعًا، وعملاً متقبّلاً، ورزقًا واسعًا في الدّنيا والآخرة، واكشف عنّا كرب الدّنيا، ونجّنا من مهالك الآخرة. يا واسع يا عليم.

❁ ❁ ❁

---

(1) سورة النمل : الآية 15.

(2) سورة النمل : من الآية 16.

يَا نَفْسُ لاَ تَقنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الكَبَائِرَ فِـي الغُفْـرَانِ كَـاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبّي حِينَ يَقْسِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَـدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيرَ مُنْخَرِمِ

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَينِ إِنَّ لَه صَبراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَـى النَّبِـيِّ بِمُنْهَـلٍّ وَمُنْسَـجِمِ

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبَا وَأَطرَبَ العِيسَ حَادِيْ العِيسِ بالنَّغَمِ

شَرْحُ الغَرِيْبِ

النّفس : تقدّمت.

والقُنوطُ : اليأس. وقَنَطَ - بفتح النّون - يَقْنُطُ - بالضمّ والكسر - قُنوطاً، فهو قانِطٌ. وقَنِط بكسر النّون أيضًا يَقْنَطُ بفتحها : أَيِسَ. قَنَطاً وقَنَاطَةً، فهو قَنِطٌ. وقُرِئَ : ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ﴾[1].

(1) سورة الحجر : من الآية 55. وهي قراءة الْأَعْمَش وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وطلحة ورُويت عن أبي عمرو.

[حقيقة الكبائر]

واختلف العلماء في تعيينها في الشّرع : فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : «كلّ ما نهى الله عنه فهو كبيرة». وسُئل أيضًا : أهي لسبع؟ فقال : «هي إلي السّبعين»[1].

وفي رواية[2] : «إلى سبعمائة أقرب».

وقيل : «هي كلّ ما ختمه الله بنارٍ أو عذابٍ أو غضبٍ أو لعنةٍ»[3].

وقيل : «ما تضمّنه ثلاثون آية من أوّل سورة النّساء إلى قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[4]»[5].

وقيل : «هي سبع عشرة مفرّقة على الأعضاء»[6].

---

(1) انظر تفسير الطبري : 245/8.

(2) رواها عنه سعيد بن جبير. انظر تفسير الطبري : 245/8.

(3) هذا القول مروي عن عليّ وابن عباس. انظر المحرر الوجيز. ابن عطية : 35/5.

(4) سورة النساء : من الآية 31.

(5) روي هذا القول عن عبد الله بن مسعود. انظر تفسير الطبري : 233/8.

(6) صاحب هذا القول هو أبو طالب مكي. وتفصيلها : أربعة من أعمال القلوب وهنّ : الشرك بالله تعالى والإصرار على معصية الله تعالى والقنوط من رحمة الله تعالى والأمن من مكر الله تعالى. وأربعة في اللسان وهنّ : شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس والسحر. وثلاثة في البطن وهي : شرب الخمر، والسكر من الأشربة، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا وهو يعلم. واثنتان في الفرج وهما : الزنا، وأن يعمل قوم عمل لوط في الأدبار. واثنتان في اليدين وهما : القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين وهي : الفرار من الزحف. وواحدة في جميع الجسد هي : عقوق الوالدين. انظر قوت القلوب : 50/2.

اللَّمَم بفتح اللاّم : صغائر الذّنوب، وهي الّتي تُكفّر باجتناب الكبائر. وألَمَّ الرّجل من اللَمَمِ؛ وهو صغار الذّنوب. قال[1] :

إنْ تَغْفِرِ اللّهـمّ تَغْفِـرْ جَمَّـا   وأيُّ عبـدٍ لـكَ لا ألَمَّـا

ويُقال : «هو مقاربة المعصية من غير مواقعة». وقال الأخفش : «اللَمَمُ: المقارب من الذّنوب». ومن المادّة : غلامٌ مُلِمٌّ : قارب البلوغ. وفي الحديث : «**إنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرّبيعُ مَا يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ**»[2]؛ أي يَقرُب من ذلك[3].

ومن النّاس من تعرّض لتعيين الصّغائر، ثمّ اختلفوا في تعيينها على أقوال شتّى.

لَعَلَّ : حرف ترجٍ. قال في "**التّسهيل**" : «وللإشفاق، وللتّعليل»[4].

وقال بعضهم : «هي للترجّي في المحبوب، وللتوقّع في المكروه»[5]. وقال الجوهريّ : «لعَلّ كلمةُ شَكٍّ، وأصْلها عَلّ، واللاّم في أوّلها زائدة. ويُقال : لَعَلِّي أفعَلُ، ولَعلَّنِي أفعَلُ، بمعنًى»[6]. انتهى.

---

(1) يُنسب البيت لأبي خراش الهذلي ولأميّة بن أبي الصّلت. انظر الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري : 431/2.

(2) سبق تخريجه.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2031/5. مادة لمم.

(4) قال ابن مالك : و "لَعلَّ"؛ للترجّي، والإشفاق، والتعليل، والاستفهام. انظر كتابه : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ص 61.

(5) نَحْو لَعَلَّ الحبيب وَاصل وَلَعَلَّ الرَّقِيب حَاصِل. انظر مغني اللبيب. ابن هشام الأنصاري : ص 379.

(6) انظر الصحاح. الجوهري : 1815/5. مادة لعل.

قلتُ : وغيره يقول : إنّ علّ لغة فيها[1].

ويُقال أيضًا فيها : لعنّ، وعنّ، ولأنّ، وأنّ، ورعنّ، ورغنّ، ولعلّت[2]. وهي من أخوات إنّ؛ تنصب الاسم وترفع الخبر.

قال في "**التّسهيل**" : «والجرّ بـ "لعلّ" ثابتة الأوّل أو محذوفتَه مفتوحة الآخر أو مكسورته لغة عَقِيليّة»[3].

رَحْمَة الله عباده : إنْ رجعت إلى إرادته الإنعام كانت صفة ذات، وإنْ رجعت إلى نفس الإنعام كانت صفة فعل، وتقدّم.

رَبُّ كلِّ شيءٍ : مالكُهُ. والربُّ : من أسمائه تعالى، ولا يُقال لغيره إلاّ بالإضافة. وقالوه في الجاهلية للمَلِك. قيل : وهو إمّا من رَبَّه يَرُبُّهُ رَبًّا؛ إذا مَلَكه. وإمّا من رَبَّاهُ يُرَبِّيهِ تَرْبِيَةً؛ إذا قام بمصالحه وشؤونه، فَرَبّ إمّا فعل وإمّا فاعل، أصله رَابُب، ثمّ أُدغم وقصر. والرَبَّانِيُّ : المُتَأَلِّهُ العارف بالله تعالى؛ ومنه : ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[4]. كذا ذكر الجوهريّ[5]. وفي البخاريّ عن ابن عبّاس: الرَّبَّانِيُّ : الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ[6].

---

(1) انظر مغني اللبيب. ابن هشام الأنصاري : ص 206.

(2) ورد في لعل أكثر من لغة منها : علّ لعنّ عنّ لأنّ أنّ رعنّ رغنّ لغنّ عنّ لعاء لعا رعلّ لوان لغلّ غلّ رعنّت لونّني لعلّت..

(3) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 66.

(4) سورة آل عمران : من الآية 79.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 130/1. مادة ربب.

(6) انظر صحيح البخاري في العلم. بَاب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

ورَبَبْتُ القوم : سُسْتُهُمْ؛ أيْ كُنْتُ فوقهم. قال أبو نصر : "هو من الرُبوبِيَّةِ". ومنه قول صفوان : «لأَنْ يَرُبَّني رجلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أنْ يَرُبَّني رَجُلٌ من هَوازِنَ». ورَبَّ ولده يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَهُ وتَرَبَّبَهُ بمعنىً؛ أيْ رَبَّاهُ. والمَرْبوبُ : المُرَبَّى[1].

قلتُ : والمملوك والمَسُوس أيضًا. والمادّة طويلة.

الحِينُ، والقَسَم، والإتيَان : تقدّمت.

الحَسَب بفتح السّين : القَدْر. والمعدود مَحْسُوبٌ وحَسَبٌ أيضاً، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول؛ كنَفَضٍ بمعنى منفوضٍ. ومنه قولهم : لِيَكُنْ عملُكَ بِحَسَبِ ذلك؛ أيْ على قَدْرِهِ وعدده. قال الكسائيّ : «ما أدري ما حَسَبُ حديثك؛ أيْ ما قَدْرُهُ. وربَّما سُكِنَ في ضرورة الشّعر»[2].

والعِصْيان : خلاف الطّاعة. وقد تقدّم.

والقِسَمِ بكسر القاف وفتح السّين : جمع قِسْمَة، وهي ما قَسَمَه الله لخَلْقه، وقيل : «مصدر قَسَمْتُ الشّيء قِسَماً وقِسْمة». وتقدّمت المادّة.

واجْعَلْ : صَيِّرْ. جَعَلْتُ كذا أَجْعَلُهُ جَعْلاً ومَجْعَلاً، وجَعَلَهُ الله نبيّاً؛ أيْ صيّره. وجَعَل تأتي بمعنى سَمَّى. قال الجوهريّ : «ومنه : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾[3]»[4]. وقال غيره : هي بمعنى اعتقد[5]. وتأتي

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 130/1. مادة ربب.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 109/1. مادة حسب.

(3) سورة الزخرف : من الآية 19.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 1656/4. مادة جعل.

(5) انظر همع الهوامع. السيوطي : 539/1.

للإيجاد؛ نحو : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[1]. والإيجاب؛ جَعَلْتُ للعامل حقّه؛ أيْ أوجبته. وتأتي للتّرتيب؛ جَعَلْت المتاع بعضه فوق بعض؛ أيْ رتّبته. وهي أيضًا من أفعال المقاربة، وهي من أقسامها الّتي للشّروع في الفعل؛ فجَعَلْتُ أفعلُ كذا؛ أيْ شرعت فيه.

الرَّجَاء ممدود : الأمَلُ. وهو مصدر رَجَوْته أَرْجُوه رَجَاءً. وتقدّم قريبًا. وقيل : «الرّجاء : تعلّق القلب بمطموع فيه، يحصل في المستقبل، مع الأخذ في عمل محصّل»[2].

قلتُ : كان هذا رسمه شرعًا، إلاّ أنّ فيه أشياء يطول تتبّعها، لا تخفى على المتأمّل.

غيرَ مُنعَكِسِ : أيْ غير خائب؛ لأنّ العَكْس لغةً : رَدُّك آخر الشّيء أوّله. وآخر أمر الرَّاجِي حصول ما يترقّب ويَرْجُو، فإذا لم يحصل له آخرًا شيءٌ، فقد ردّ آخره إلى أوّله؛ لأنّ أوّل أمره لم يكن حصل له شيء.

ومن العَكْس لغةً : عَكْس البليّة عند القبر؛ لأنّهم كانوا يربطونها مَعْكُوسَة الرّأس إلى ما يلي كَلْكَلَها وبطنها، ويُقال إلى مؤخّرها ممّا يلي ظهرها، ويتركونها على تلك الحال حتّى تموت. ويُقال : إنّهم يفعلون ذلك؛ لأنّهم يرون أنّ صاحبها إذا بُعث من قبره، يُحشر راكبًا عليها. والعَكْس أيضًا : أنْ تشدّ حبلاً في خطم البعير إلى رسغ يديه ليذلّ ؛ واسم ذلك الحبل العِكَاس. يُقال : دون ذلك الأمر عِكَاس ومِكَاس[3].

---

(1) سورة الأنعام : من الآية 1.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 259/1.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 951/3. مادة عكس.

[حقيقة العكس عند المنطقيّين]

والعَكْس عند المنطقيّين على التّقريب : «تبديلُ كلٍّ واحدٍ مِن طَرَفَيّ القَضِيّة بِعَيْن الآخَر فِي العَكْسِ المُسْتَوى، وَبِنَقِيض الآخر فِي عَكْس النّقيضِ»[1].

لَدَى : تقدّمت.

حِسابي : ذهبَ كثيرٌ إلى أنّ المراد : المُحَاسَبَة يوم القيامة.

قال القصّار : «طلبَ أنْ تبقى حسناته تامّة غير منقوصة، وذلك بأنْ يُعفَى عن سيّئاته، وتُقبَل حسناته».

وقال بعضهم : «يريد بـ "المُنخَرِمِ" : الحساب الّذي لم يتخلّص صاحبه».

قلتُ : ويحتمل مع ما قالوه أنْ يكون من الظنّ؛ أيْ واجعل ظنّي بك فيما تفعله بي غير ناقص، لكن يتوقّف على ورود "حِسَاب" مصدر حَسِب بمعنى ظنّ، وهذا هو المانع أيضًا من حَمله على القَدْر؛ أيْ واجعل قَدْري عندك غير ناقص.

ومُنخَرِمِ : اسم فاعل من انخَرَمَ. والخَرْم : القطع والنّقص. وأُذُن مَخْرُومة. وخَرَمَ السّيل الجبل والجرف : كسر منهما. وخَرَمْتُ أنفه، فهو مُنْخَرِم : شققته.

وهو مجاز؛ كناية عن الفساد؛ لأنّه إذا انخرم الشّيء فقد فسد، ويريد به النّقص أيضًا، وفي حديث سعد رضي الله عنه : «ما خَرَمْتُ مِن صَلاَة رَسُولِ

---

(1) وأضاف الخونجي : مع بقاء الصدق والكيفية فى المستوى والصدق فقط فى عكس النقيض. انظر الجمل. الخونجي : ص 2.

الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا»[1]؛ أيْ ما نَقَصت. ومنه الخَرْم في العروض؛ لسقوط الحرف الأوّل من الجزء؛ كفاء فَعُولُنْ، وميم مَفَاعِيلُنْ[2].

والخَرْمُ : أنفُ الجبل، ومصدر؛ خَرَمْتُ الخَرَزَ أَخْرِمُهُ بالكسر؛ إذا أَثْأَيْتَهُ؛ أيْ أفسدته. وما خَرَمْتُ منه شيئاً : ما نَقَصْت وما قطعت. وما خَرَمَ الدليلُ عن الطّريق : ما عَدَلَ[3]. وبقيت من المادّة فروع مناسبة.

لُطْفُ الله بعباده : رِفقُه بهم. والرّفق منه سبحانه وتعالى : الإنعام، وترك المؤاخذة . فيكون صفة فعليّة. واللّطيف : اسم من أسمائه تعالى، نطق به القرآن؛ قال تعالى : ﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِۦ﴾[4].

وهو في اللّغة؛ إمّا العالم بدقائق الأمور وغوامضها ومشكلاتها، وإمّا الصّغير الدّقيق ضدّ الكثيف، وإمّا من لَطَفَ به؛ إذا رفق به، وأوصل إليه

---

(1) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند عن عمار بن ياسر وليس عن سعد. انظر المسند : 264/30. الحديث رقم 18324. قال المحقّق : حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف. شريك- وهو ابن عبد الله النخعي- سيء الحفظ، وقد توبع، وأبو مجلز- وهو لاحق بن حميد- لا يُذكر له رواية عن عمار، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين.

(2) الخرم : وهو إسقاط أول الوتد المجموع في صدر المصراع الأول وذلك يكون في :

- "فعولن" : فتصير بالخرم "عولن" وتنقل إلى "فعلن" بسكون العين، ويكون هذا في الطويل والمتقارب.
- "مفاعيلن" : فتصير بالخرم "فاعيلن" وتنقل إلى "مفعولن"، ويكون هذا في الهزج والمضارع.
- "مفاعلتن" : فتصير بالخرم "فاعلتن" وتنقل إلى "مفتعلن" ويكون هذا في الوافر.

انظر علم العروض والقافية. عبد العزيز عتيق : ص 186.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1910/5. مادة خرم.

(4) سورة الشورى : من الآية 19.

والسُحْب - بضمّ السّين والحاء - : جمع سَحَابَة، وإنّما سُكن الحاء تخفيفًا. والسَّحَابَةُ: الغَيْمُ، والجمع سَحَابٌ وسُحُبٌ وسَحَائبُ[1].

وكنّى بالسُّحُب والمُنْهَلّ والمُنسَجِم عن كثرة الصّلاة عليه صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليمًا، كلّما ذكره الذّاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، صلاة وتسليمًا لا انقطاع لآحادهما، ولا نهاية لأعدادهما.

والصّلاَةُ من الله تعالى رحمة، ومن الخَلْق دعاء. وأصل الصَّلاَة لغةً: الدّعاء. والصَّلاَة: واحدة المفروضات، وهو اسم يوضع موضع المصدر، تقول : صَلَّيْت صَلاَةً، ولا يُقال : تَصْلِيَة. وصَلَّيْت على النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَصْلِيَة[2].

ومُنْهَلٌّ : اسم فاعل من انْهَلَّ السّحاب بالمطر، وانْهَلَّ المطر، فهو مُنْهَلٌّ : اشتدّ انصبابه. **والمُنسَجِم** : السّائِل. وقد تقدّما.

رَنَّحَتْ الرّيح الغصن : أمالته. وتَرَنَّحَ : تَمَايَلَ من السُكْر وغيره. ورُنِّحَ عليه تَرْنيحاً، - على ما لم يُسَمَّ فاعله - أيْ غُشيَ عليه، أو اعتراه وَهْنٌ في عِظامه فتمايل، فهو مُرَنَّح. قال امرؤ القيس يصف كلبًا طعنه ثور:

فَظَلَّ يُرَنِّحُ في غَيْطَلٍ ... كما يستديرُ الحِمارُ النَعِرُ[3]

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 146/1. مادة سحب.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2402/6. مادة صلا.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 367/1. مادة رنح.

أيْ بِيضاً. ويُقال : كرائم الإبل»[1].

الحَادِي : سائق الإبل بالغناء. الحَدْوُ : سَوقُ الإبل والغِناء لها. وقد حَدَوْتُ الإبلَ حَدْواً وحُداءً. ويُقال للشَمال حَدْواءُ؛ لأنّها تَحْدوا السّحابَ؛ أيْ تسوقه. ولا يُقال للمذّكر أَحْدَى. وربّما قيل للحمار إذا قدم أُتُنَه : حَادَ[2].

النِّغَم بكسر النّون : جمع نَغَمَة بفتح النّون، وهي الصّوت. والنَغَمُ : الكلام؛ تقول منه: نَغَمَ يَنْغُمُ بالكسر والفتح نَغْماً. وسكت فلان فما نَغَمَ بحرفٍ، وما تَنَغَّمَ مثله. وفلانٌ حسن النَغْمَةِ؛ إذا كان حسنَ الصّوت في القراءة؛ قاله الجوهريّ[3].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 954/3. مادة عيس.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2309/6. مادة حدا.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2045/5. مادة نغم.

التَّفْسِيْرُ

[شفاعة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

لمّا ذكر من موجب الرّجاء ما ذكر؛ وهو ما حصل له من التّعلّق بأذياله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصفه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأوصاف تقتضي أنّ رجاءه - ورجاء من سلك طريقه اعتمادًا على المتّصف بتلك الصّفات - لا يخيبُ، أقبل على نفسه مخاطبًا لها بتحقيق رجائه، ومؤنسًا إيّاها لئلاّ يؤول بها شدّة الخوف إلى القنوط من رحمة الله، فقال : "يا نفسُ.." البيت؛ أيْ بعد أنْ قرّرتُ لديك من موجبات الرّجاء ما قرّرتُ، فلا تقنطي من أجل إتيانك زلّة عظُمت؛ لأنّها معصية الله - جلّ جلاله - الّذي يجلّ عند العارف بحقّه أنْ يبارزه بالعصيان، فإنّ فضله عظيم، وحِلمه وعفوه عن الذّنب عميم، وإنّ الكبائر العِظام - كمثل ما أتيته أنتِ أيّتها النّفس - في جانب عفوه وغفرانه كعفوه عن اللّمم؛ وهي صغائر الذّنوب؛ فإنّه ورد أنّه - سبحانه وتعالى - يغفر الصّغائر باجتناب الكبائر[1]، فكذلك - سبحانه وتعالى - يعفو عن الكبائر - إنْ شاء - بفضله وكرمه وبشفاعة أكرم الخَلْق عنده محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبشفاعة مَن ارتضاه من خَلْقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ.. ﴾ الآية[3]. ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ .. ﴾ الآية[4].

---

(1) وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾. سورة النساء : الآية 31.

(2) سورة النساء : من الآية 48.

(3) سورة الرعد : من الآية 6.

(4) سورة الحجر : الآية 49.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]. ومن حديث ابن عبّاس - رضي الله عنهما - عنه عليه السّلام : «**تُوضَعُ للأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم السّلاَم مَنَابِرُ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى مِنْبَرِي لاَ أَجْلِسُ عَلَيْهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَي رَبِّي مُنْتَصِبًا..**[2]» فيقول الله تبارك وتعالى : «**مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ؟**» فأقول : «**يَا رَبِّ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ**». فيُدعَى بهم، فيُحاسَبون، فمنهم مَن يدخل الجنّة برحمته، ومنهم مَن يدخل الجنّة بشفاعتي، ولا أزال أشفع حتّى أُعطَى صكاكاً برجال قد أُمر بهم إلى النّار، حتّى إنّ خازن النّار يقول : «**يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ**»[3].

ومن حديث أبي موسى - رضي الله عنه - عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ**». وفي رواية : «**لِلْمُذْنِبِينَ الخَطَّائِينَ**»[4].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سقطت من الحديث في جميع نسخ المخطوط بعد قوله "منتصبًا" العبارة التالية : «**بأمتي مخافة أنْ يُبعث بي إلى الجنة وتبقى أمّتي بعدي، فأقول : يا ربّ أمتي، أمتي**».

(3) رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا في الأوسط : 208/3. رقم الحديث : 2937. والحديث ضعيف،

(4) رواه اين ماجه في الزهد. بَاب ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ. ورواه غيره. والحديث صحيح. ورواه غيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلتُ : يا رسول الله ماذا رُدّ عليك في الشّفاعة؟ فقال : «**شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُخْلِصًا؛ يُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ**»[1]. وأحاديث هذا الباب أكثر من أنْ تُحصَى، وكان الأنسب ذكرها عند قوله : "وَلَنْ يَضِيقَ.." البيت، وذكرها هنا مناسب أيضًا؛ لأنّها من أسباب الغفران.

(1) رواه الحاكم في المستدرك : 141/1. رقم الحديث : 233. وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي رحمه الله.

[الكبائر كالصّغائر في جواز العفو]

وما ذكر النّاظم هنا من أنّ الكبائر - في جواز العفو عنها - كاللّمَم؛ هو مذهب أهل الحقّ والسُنّة، وهو الموافق للقرآن والحديث والدّليل العقلي؛ لأنّه – تعالى - لا يجب عليه ثواب، ولا يتحتّم عليه عقاب، فالثّواب منه فضل، والعقاب منه عدل : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1]. وللمعتزلة في هذه المسألة تخليط وخباط في قولهم بالموازنة[2] والإحباط[3]، تركنا ذلك؛ لأنّ له موضعًا أليق به من هذا.

وتضمّن كلام النّاظم دعوى الحقّ ودليله في قوله : "إِنَّ الكَبَائِرَ.." إلى آخره، فإنّه إشارة إلى قياس الكبائر على الصّغائر في جواز العفو، والجامع أنّ كلاًّ من النّوعَين معصية ومخالفة الأمر، فكما جاز العفو عن الصّغائر اتّفاقًا، يجوز عن الكبائر، لا سِيّما على القول بأنْ لا صغيرة.

قال بعضهم : «قوله : "إِنَّ الكَبَائِرَ"؛ يحتمل أنْ يشير به إلى أنّه اقترف شيئًا منها، فيسكّن النّفس بأنّ ما أتت منها في جانب الغفران كاللّمَم. ويحتمل أنْ يكون إنّما أتى صغيرة أو صغائر، فأشفق منها، وذكرُ الكبائر استظهارٌ؛ أيْ ما ترتجين أعظم ممّا تخشَين، فإنّ الكبائر في جَنب ما ترتجين كاللّمَم، فما بالك وأنتِ لم تأتِ إلاّ صغائر. ويرجّح الأوّل وصفه زلّته بالعِظم، ويحتمل المعنى مع ذلك : عظُمت عليكِ، لا في نفسها». انتهى.

---

(1) سورة الأنبياء : الآية 23.

(2) الموازنة : معناها أنّ الحسنات تكون محبطة للسيّئات وتكون أعظم منها، وأنّ السيّئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها.

(3) الإحباط هو : إحباط الطاعات بالمعاصي.

[سعة رحمة الله تعالى]

قوله : "لَعلَّ.." البيت؛ لمّا نهى النّفس عن القنوط، قدّر كأنّها قالت له : أنا لا أقنطُ من رحمة الله، فإنّه كفرٌ، ولكنّي أخشى أنْ يكون حظّي؛ الّذي أعطاه من الرّحمة لا يفي بتباعات ذنوبي؛ لكثرتها وعِظمها. فأجابها: بأنّه يرجو أنْ تكون رحمة الله تعالى - الّتي تنال العصاة للسّتر على ذنوبهم حين يقسمها الله سبحانه وتعالى إذا وزّعت عليهم - تأتي أقسامها في العِظم والصّغر على حسب؛ أيْ قدر أقسام العصيان في ذلك، فمَن حمل من آثام المعاصي حِمْلاً كبيرًا، كان ما يناله من أقسام الرّحمة شيئًا كثيرًا، وكيف لا يرجو النّاظم هذا الرّجاء، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ للهِ مَائَةَ رَحْمِةٍ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ، وَضَعَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً فِي الدُّنْيَا، فَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَيَتَعَاطَفُونَ، حَتَّى إِنَّ الْبَهِيمَةَ لَتَرْفَعُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تَطَأَهُ، وَأَخَّرَ سُبْحَانَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةٍ؛ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(1).

قال بعضهم : «كلام النّاظم يقتضي أنّ مَن كانت ذنوبه أكثر وأعظم، كان نصيبه من الرّحمة أعظم، ولا يقصد حقيقة هذا؛ لأنّه محال، والمحال لا يتعلّق به الترجّي، فإنْ أراد بـ "لعلّ" التمنّي، فمجاز مستقيم، لأنّ التمنّي يتعلّق بالممكن والمستحيل، والترجّي لا يتعلّق إلاّ بالممكن، فإنْ لم يرد بها التمنّي، فكلامه من تجاهل العارف».

---

(1) رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعا في التوبة. بَاب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ. ورواه غيره.

وسمعتُ من يعترض هذا البيت بوجه آخر؛ قائلاً : «إنّ هذا ترجٍ غير ممكن؛ لأنّ الرّحمة إذا قُسمت على حسب العصيان، لا يبقى للمطيع منها حظّ، وهو باطل، وأيضًا رحمة الله عزّ وجلّ لا تتناهى، والمعاصي متناهية؛ إذ لا تصدر إلاّ في دار التّكليف وهي الدّنيا، فإذا أتت الرّحمة في أقسامها على قَدْر أقسام العصيان تناهت أقسامها، وإلاّ لما صدق أنّ أقسام الرّحمة بحسب أقسام المعصية، لكن ما لا يتناهى لا تنحصر أقسامه».

فإنْ قيل : لعلّ معنى قوله : "تَأْتِي على حَسَبِ العِصيَانِ"؛ أيْ تستوفي أقسام العصيان؛ بحيث لا تبقى معصية إلاّ أتت عليها الرّحمة، فتندرج معصيته في ذلك، وحينئذٍ لا يلزم ما ذكر.

قيل : وهذا المعنى أيضًا إذا أُخِذ على ظاهره باطل؛ لأنّه يلزم أنْ يكون غفران كلّ معصية حتّى الكفر ممكنًا، وأنْ يكون عدم دخول كلّ أحد من المؤمنين النّار ممكنًا؛ لأنّه أتى بصيغة "لعلّ" الّتي للترجّي، وهو باطل؛ لانعقاد الإجماع من أهل السُنّة أنّ الكفار مخلّدون في النّار، وأنّ طائفة من المؤمنين غير مُعيّنة لا بدّ لهم من دخولها، ثمّ تخرج بشفاعة نبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والجواب عن هذا كلّه : أنّ المراد رحمة خاصّة؛ إمّا الّتي تُقسَم بين العصاة كما قدّمنا، ويعني المؤمنين، وإمّا الشّفاعة العامّة للإراحة من الموقف، فإنّ منفعتها عامّة، وإمّا للّتي للعصاة من أمّته كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شفاعته الّتي هي من الرّحمة للمذنبين : «**أَتَرَوْنَهَا لِلْمُطِيعِينَ؟ بَلْ هِيَ لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[1].

---

(1) سبق تخريجه.

[طلب حسن العاقبة في الأخرى]

فقوله : "يا رَبِّ"؛ طلب من الله - سبحانه وتعالى - أنْ يجعل رجاءه لديه، وهو يوم القيامة حيث يكون الثّواب والعقاب غير منعكس؛ أيْ يرجع آخر زمن الرّجاء خائبًا كما كان أوّله، وذلك بأنْ يُحرَم ما رَجَاه، ولا يحصل له منه شيء، وطلب منه – سبحانه - أيضًا أنْ يجعل حسابه غير ناقص، والأَوْلى أنْ يُفسَّر حِسابه بظنّه؛ أيْ: واجعل ظنّي الجميل فيك أنْ تعفو عن زلاّتي، وتُنيلني من فضلك ما أمِلته من كراماتي غير ناقص ذلك الظنّ، بل أجده حسبما قَدَّرته، كما قال الآخر الّذي غلب عليه الرّجاء[1] :

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وأمّا مَن قال : «طلب أنْ لا يُنقِص من حسناته شيئًا؛ أيْ واجعل حسابي من حسناتي غير ناقص». فالمقام ينبو عن هذا التّفسير؛ لأنّه في مقام الاعتراف بالزلاّت، والتبرّي من فعل شيء من الحسنات، ولم يبق إلاّ فضل عالم الخفيّات، وأيضًا فإنّه طلب ما لا بدّ من وقوعه، فإنّ الله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾[2]. وكذا لا ينبغي أيضًا أنْ يُقال معناه : واجعل حسابي غير منقطع، فإنّه حينئذٍ يكون طلب أنْ

---

(1) يُنسب لمحمد بن وهيب الحميري ولمحمد بن حازم الباهلي. انظر زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 911/4. الكامل. المبرد : 6/2.

(2) سورة النساء : من الآية 40.

لا ينقطع عذابه؛ لأنّ طول الحساب عذاب، فكيف بدوامه و : «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»[1].

ومَن قال : «الحساب المُنْخرم : هو الّذي لا يتخلّص». فهو طلب أنْ لا يصدر منه ما يكثر عليه الحساب، حتّى لا يتخلّص.

ومَن قال : «المنخرم : الفاسد». فإنْ كان الحساب من الظنّ، فَلِيق؛ أيْ واجعل ظنّي غير فاسد، بأنْ اجعله صحيحًا. وأمّا إنْ جُعل من المحاسبة، ففيه تكلّف؛ لأنّ المحاسبة من الله - سبحانه وتعالى - صحيحة : ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[2]. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3]. و : ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[4].

---

(1) رواه البخاري عَنْ عَائِشَةَ مرفوعا في الرقاق. بَاب مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ. ورواه غيره.

(2) سورة طه : من الآية 52.

(3) سورة الرعد : من الآية 41.

(4) سورة الأنعام : من الآية 62.

[طلب العافية من الله تعالى]

قوله : "والطُفْ.." البيت؛ لمّا طلب من الله - سبحانه وتعالى - حسن العاقبة في الأخرى، طلب منه أيضًا النّعم إليه برفقٍ في الدّنيا والأُخرى؛ لأنّ ممّا يعظم فيه الأجر الأخرويّ المشاقّ الدّنيويّة الّتي يُحتاج معها إلى الصّبر، ليعظم الأجر : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. فلو اقتصر على طلب الفضل الأخرويّ كما في البيت قبل هذا، لكان معرّضًا بنفسه لطلب نيل جميع الأسباب الموصلة لذلك؛ حتّى المشاقّ الّتي يُحتاج إلى الصّبر معها، فطلب في هذا البيت من ربّنا - جلّ وعلا - أنْ يُنيله إحسانه وإنعامه برفق في الدّنيا والآخرة، وطلب العافية من الأمور الشّاقة، فإنّه لا صبر له عليها، وهو الّذي أراد بقوله : "إِنَّ لَهُ"؛ أيْ لعبدك - ويعني نفسه - صبرًا، متى تدعو ذلك الصّبر الأهوالُ ينهزم؛ أيْ متى تنادي الأمور المهولة صبري، بأنْ تقول له : تعال بارزني، واحمل عن صاحبك، فإنّي حالّ به، ينهزم هو أمامها، ويفرّ ويتركني فريدًا عن الصّبر، فأجزع فأفتضح، واقتدى النّاظم في هذا المعنى بأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنّه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ شَيْئًا فَاسْأَلُوهُ العَافِيَةَ**»[2].

وقال للصّحابيّ الّذي رآه كالفرخ من المرض : «**مَا كُنْتَ دَاعِيًا بِهِ؟**» قال : كنت أقول: اللهمّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَوْلاَ سَأَلْتَ اللهَ العَافِيَةَ، فَإِنَّكَ لاَ**

(1) سورة الزّمر : من الآية 10.

(2) سبق تخريجه.

تَطِيقُ ذَلِكَ»[1]. وَقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في دعائه حين رأى من أهل الطّائف ما رأى، حين عرض نفسه عليهم : «وَلَكِنَّ عَفْوَكَ أَوْسَعُ لِي»[2]. وسمع - عليه السّلام - رجلا يقول : اللهمّ هبْ لي الصّبر. فقال له عليه السّلام : «طَلَبْتَ مِنَ اللهِ البَلاَءَ، فَاطْلُبْ مِنْهُ العَافِيَةَ»[3]. وقال : «أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللهِ العَفْوُ وَالعَافِيَةُ»[4]. وقال لعائشة - رضي الله عنها - حين قالت له : ما تأمرني أنْ أدعو به إنْ أدركت ليلة القدر؟ فقال لها - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قولي : «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنَّا»[5]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفي الدّعاء المأثور : «اللّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[6]. وكاد بيت النّاظم أنْ يكون عقدًا لهذا الدّعاء.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مرفوعا في الدعوات. بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ. ورواه غيره. والحديث ضعيف.

(4) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسندًا، ووقفت على أحاديث قريبة منه في المعنى، منها : «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ، فَسَلُوهُمَا اللهَ». رواه النسائي عن أبي هريرة مرفوعا في السنن الكبرى : 221/6. رقم الحديث : 10722. ورواه غيره. والحديث حسن.

(5) رواه ابن ماجه في الدعاء. بَاب الدُّعَاءِ بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ. ورواه غيره. والحديث صحيح.

(6) ورد في حلية الأولياء لأبي نعيم من رواية مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يرفعه بلفظ : «مَا مِنْ دَعْوَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَدْعُوَ بِهَا أَحَدٌ مِنْ أَنْ يَقُولَ : أَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْمُعَافَاةَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». انظر الحلية : 247/2.

[ختم الدّعاء بالصّلاة على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

قوله : "وائذَنْ.." البيت؛ أيْ وأمر يا ربّ سحائبَ الصّلوات منك على النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدّائمة عليه أنْ تمطر عليه بنوع منهلّ من الصّلوات؛ أيْ منصبّ، ومنسجم منها؛ أيْ سائل. والمعنى : أنّه شبّه ما يغمر الأوقات ممّا يستحقّه بما أمر الله به على الدّوام من الصّلوات عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسّحائب الّتي تعمّ الآفاق، وطلب من الله - سبحانه وتعالى - أنْ يأذن لتلك السّحائب أنْ يبيح لها ويأمرها أنْ تدوم على النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بصلاة كثيرة متّصلة لا تنقطع، تشبه المنصبّ والسّائل من المطر من سحائبه، لا القليل القَطر منه الّذي ينقطع.

وقوله : "مِنْكَ"؛ أيْ سُحُب الصّلوات الّتي طلبت منك؛ أنْ تأذن لها بالإمطار عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هي منك، وإنّما شبّه الصّلاة عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمطر؛ لأنّ الصّلاة من الله - سبحانه وتعالى - على نبيّه رحمة، والمطر رحمة[1].

وختم النّاظم دعاءه بالصّلاة عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اقتداءً بما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من ذلك ما ذكر القاضي أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بشكوال[2] في كتابه المسمّى

---

(1) أقول : وقد يكون الجامع مع ذلك الكثرة.

(2) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الاندلسي، أبو القاسم (494 - 578هـ = 1101 - 1183 م). مؤرخ بحاثة، من أهل قرطبة، ولادة ووفاة. ولي القضاء في بعض جهات إشبيلية. له نحو خمسين مؤلفًا، أشهرها (الصلة) في تاريخ رجال الاندلس، جعله ذيلا لتاريخ ابن الفرضي. انظر الأعلام. الزركلي : 311/2.

"بالقُرْبة"[1] : عن عليّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا مِنْ دَاعٍ[2] إلاَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، حَتَّى يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ فَعَلَ، انْخَرَقَ ذَلِكَ الحِجَابُ، وَدَخَلَ الدُّعَاءُ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ، رَجَعَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ»[3]. وذكر أيضًا عنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنّه قال : «الدُّعَاءُ كُلُّهُ مَحجُوبٌ، حَتَّى يَكُونَ أَوَّلَهُ ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلاَةٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو، فَيُسْتَجَابُ لِدُعَائِهِ»[4]. وذكر القاضي أبو الفضل عياض في كتاب "الشّفا" بسنده عن فضالة بن عبيد[5] -

(1) اسم كتاب (القُربة إلى الله بالصلاة على نبيه) طبع في دار الكتب العلمية 1420هـ بتحقيق (سيد محمد سيد) و(خلاف محمود عبد السميع) عدد أحاديثه (126) حديثا. كما طبع بعنوان : القربة إلى رب العالمين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين. بتحقيق حسين محمد علي شكري. عن دار الكتب العلمية 2010م.

(2) في المطبوع من كتاب القربة : "دُعَاء" بدل "دَاع".

(3) انظر الحديث في القربة. ابن بشكوال : ص 105. وروى البيهقي حديثًا بمعناه في شعب الإيمان عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مرفوعًا : 137/3. رقم الحديث : 1475. والحديث ضعيف.

(4) انظر الحديث في القربة. ابن بشكوال : ص 106. والثابت في معنى هذا الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ». رواه الترمذي عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ مرفوعا في الدعوات. بَاب مَا جَاءَ فِي جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(5) هو فَضَالَةُ بن عُبيد، أَبُو محمد الأَنْصَارِيّ قاضي دمشق. كَانَ أحد من بايع بَيْعة الرضوان، ولي الغزو لمعاوية، ثُمَّ ولي لَهُ قضاء دمشق، وناب عَنْهُ بِهَا. تُوُفِّيَ سَنَة ثلاث وخمسين. انظر تاريخ الإسلام. الذهبي : 530/2.

رضي الله عنه - قال : سمع النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلا يدعو في صلاته، فلم يصلّ على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**عَجَّلَ هَذَا**». ثمّ دَعاه، فقال له ولغيره: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لْيَدْعُ بِمَا شَاءَ**»[1].

ومثله عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن عمر رضي الله عنه : «الدّعَاءُ وَالصَّلاَةُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، فَإِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلأُ قَدَحَهُ، ثمَّ يضَعُه وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ، فَإِنْ احتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَه أَوِ الْوُضُوءَ تَوَضَّأَ، وَإِلا أَهْرَاقَه، ولكن اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَفِي أَوْسَطِهِ وآخِرَه**»[3].

وقال ابن عطاء : «لِلدُّعَاءِ أَرْكَانٌ، وَأَجْنِحَةٌ، وَأَسْبَابٌ، وَأَوْقَاتٌ، فَإِنْ وَافَقَ أَرْكَانَهُ قَوِيَ، وَإِنْ وَافَقَ أَجْنِحَتَهُ طَارَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنْ وَافَقَ مَوَاقِيتَهُ فَازَ، وَإِنْ وَافَقَ أَسْبَابَهُ أَنجحَ، فَأَرْكَانُه حُضُورُ القَلْبِ، والرقَّةُ، والاسْتِكَانَةُ، والخُشُوعُ، وَتَعَلُّقُ القَلْبِ باللهِ، وَقَطْعُهُ مِنَ الأَسْبَابِ، وَأَجْنِحَتُهُ الصِّدْقُ،

(1) انظر الشفا. القاضي عياض : 65/2.

(2) انظر الحديث في القربة. ابن بشكوال : ص 106. والشفا. القاضي عياض : 65/2. وقال المتقي الهندي : رواه ابن راهويه بسند صحيح. انظر كنز العمال : 269/2. رقم الحديث: 3985.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان : 137/3. رقم الحديث : 1476. والحديث ضعيف.

ومَوَاقِيتَهُ الْأَسْحَارُ، وَأَسْبَابُهُ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

وفى الحديث : «الدُّعَاءُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ عَلَيَّ لاَ يُرَدُّ»[2].

وحُكم الصّلاة على النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الوجوب مرّة في العمر، وفي كونها واجبة في كلّ صلاة من الصّلوات الفرض أو سُنّة خلاف؛ ذهب الشّافعي وبعض المالكية إلى الفرض، ومشهور مذهب مالك السُنّة[3].

---

(1) انظر الشفا. القاضي عياض : 65/2.

(2) ذكره القاضي عياض في الشفا من غير إسناد. انظر الشفا : 66/2.

(3) انظر الشفا. القاضي عياض : 61/2.

[فضل الصّلاة على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وأمّا ما ورد في فضلها فكثير جدًا؛ من ذلك ما خرّجه مسلم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : «**إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ عليه الشَّفَاعَةُ**»[1].

وعن أنس - رضي الله عنه - أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**»[2].

ومن كتاب "**القربة**"[3] لابن بشكوال، وذكره القاضي في "**الشّفا**"[4] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ، لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ**»[5].

---

(1) انظر صحيح مسلم في الصلاة. بَاب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ.

(2) رواه النسائي في السهو. بَاب الْفَضْلِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورواه غيره. والحديث صحيح.

(3) انظر القربة. ابن بشكوال : ص 119.

(4) انظر الشفا. القاضي عياض : 68/2.

(5) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : 232/2. رقم الأثر 1835. وقال الهيثمي : فيه بِشْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الدَّارِسِيُّ، كذبه الأزدي وغيره. انظر مجمع الزوائد : 136/1.

ومنه عن بعض الصّوفية: «رأيتُ الملقّب بِمِشْطَاح بعد وفاته في المنام، وكان رجلاً ماجنًا في حياته، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلتُ: بأيّ شيء؟ قال: استَمْلَيتُ على بعض المحدّثين حديثاً مُسنداً، فصلّى الشّيخ على النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلّيتُ أنا، ورفعتُ صوتي، فصلّى أهل المجلس، فغُفر لنا كلّنا في ذلك اليوم»[1].

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا عدد ما خَلَق الله، وعدد ما هو خالق.

وعن زيد بن الحباب رضي الله عنه: سمعت النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «**مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ، وَأَنْزِلْهُ المنزل الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[2].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**»[3].

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ربعُ اللَّيْلِ، قَامَ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ..**». فقال أبيّ: يَا رسول الله،

---

(1) انظر القربة. ابن بشكوال: ص 126.

(2) انظر القربة. ابن بشكوال: ص 150. والمشهور أنّ هذا الحديث يرويه رُوَيْفِع بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيّ، إلاّ أنّ أبا نعيم ذكر في كتابه "معرفة الصحابة" أنّ زيد بن الحباب يرويه أيضاً. والحديث رواه الإمام أحمد. انظر المسند: 201/28. الحديث رقم: 16991. ورواه غيره. وإسناده ضعيف.

(3) انظر القربة. ابن بشكوال: ص 118. ورواه الترمذي في الصلاة. بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورواه غيره. والحديث ضعيف.

الرّيح الشّرقية تهبّ فتُميل أغصان شجر البان عند هبوبها، وما أبقيتَ الإبل تُساق، فيحدوها الحادي، وتطرب لحُدائه، ومعلوم أنّ هذين الأمرَين لا ينقطعان ما بقيت الدّنيا.

قال بعضهم : «ومدّة الأوّل أطول من مدّة الثّاني، لأنّ الثّاني ينقطع في مدّة البرزخ دون الأوّل».

قلتُ : وفيه نظر.

وللإبل خاصية عظيمة في حصول الطّرب لها عند سماع صوت الحادي، وذلك معلوم بالأخبار، ومشاهدٌ بالأبصار، وكلّما كان الصّوت أحسن، كان طربها أكثر، حتّى أنّها لتقطع المسافة الكثيرة في الزّمن القليل بسبب ما يحصل لها من النّشاط عند سماع الصّوت الحسن حِكمة العزيز القادر، وأكثر ما يُسيِّرها أصحابها في الطّرق المتطاولة بالحُداء، فتصرف همّتها لسماع الصّوت، وتُسرع السّير، ولا تحسّ بجوع ولا عطش ولا كَلَل، وربّما أوقعها شدّة السّير لذلك مع ثقل الأحمال إلى أنْ تموت، وهي لا تشعر.

فإنْ قلتَ : خرج من مضمون هذا البيت والّذي قبله أنّه صلى على النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما بقيت الدّنيا، وذلك قصور، وهلاّ قال : وما بقيت الآخرة، أو نحو ذلك ممّا يدلّ على عدم نهاية مدّة الصّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلتُ : لا نُسلّم أنّ ما ذكره خاص بالدّنيا، فإنّ ريح الصَّبا وشجر البان موجودان في الجنّة، وكذا العِيس وحاديها، لأنّ مَن ألف ذلك - من العرب وغيرهم - يتمنّى ذلك في الجنّة : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ

موقع المُضمر؛ لأنّ مقتضى الظّاهر "بي"، لكن المقام اقتضى الالتفات عن التكلّم إلى الغيبة بالتّعبير بالاسم الظّاهر، فائدته الاستعطاف لحصول المطلوب؛ كقوله : إلَهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَتَاكَا..[1]. ومقتضى الظّاهر : أنا أتيتك، وقد تقدّم أوّل الكتاب. و«أل» في "الدّارين" عهديّة. وجملة "إنّ له.." في احتمال الاستئناف والتّذييل كجملة "إنّ الكبائر..". وأمّا تأكيدها فلكونها طلبيّة. وتنكير "صبرًا" للتّقليل والنّوعيّة. و«أل» في "الأهوال" تحتمل العهد؛ أيْ أهوال يوم القيامة، أو الجنس[2]، وجمعها تنبيهًا على أنّ مصيبات الزّمان كثيرة.

وجمع "السُّحب" جمع كثرة؛ لأنّ القصد تكثيرها، وتكثير أنواعها. قيل : و"المُنْهَلّ" أعظم من "المُنْسَجِم"؛ فهو من التدلّي. وتنكير "صلاةً" للتّعظيم والنّوعيّة؛ لأنّه وصفها بـ "مِنْكَ" و"دَائِمَة". وتنكير "مُنْهَلّ" و"مُنْسَجِم" للتّعظيم والتّكثير.

وقدّم "عذَبات البان" على "ريح" ليُعلم من أوّل الأمر أنّه قصد أدنى ما تُميله تلك الرّيح، ولذا نكّر "صَبَا" ليفيد أيَّ ريح ميّلت، فتنكيرها للتّقليل، ولو عرّفها لتُوهِم أنّ المراد حتّى توجد حقيقتها بكمالها. وإضافة "ريح" للاختصاص، وخصّصها بالذّكر؛ لأنّها أَلْيَن الأرواح، فتدخل القويّة أحرى. و«أل» في "البان" وفي "العِيس" وفي

---

(1) صاحب هذا البيت غير معروف، وهو بتمامه :

إلَهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَتَاكَا   مُقِرّاً بالذُّنوب وَقَدْ دَعَاكَ

انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. أبو الفتح العباسي : 170/1.

(2) أيْ فتعم أهوال الدنيا والآخرة، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله قبلها : "في الدّارين".

تسمية المعاصي العِظام "كبائر"؛ الظّاهر أنّه حقيقة عرفيّة، ومجازه اللّغويّ؛ إمّا باعتبار ما تؤول إليه من العذاب العظيم الكبير، أو باعتبار أنّها سبب فيه.

والظّاهر أنّه شبّه حظوظ الرّحمة والعصيان بما يُقسَم من المحسوسات، فهو من تشبيه معقول بمحسوس؛ إنْ أُرِيد الحُكم بهما، وإنْ أُرِيد متعلّق الرّحمة - وهو المُنعَم به - فمن محسوس بمحسوس.

وإطلاق "العكس" على خيبة آخر زمان الرّجاء من باب التّشبيه الصّوريّ.

وقوله : "صَبراً مَتَى تَدْعُهُ الأهْوالُ ينهَزِمِ"؛ الظّاهر أنّه من الاستعارة بالكناية؛ كأنّه شبّه الصّبر بفارس يُطلب للمبارزة، ولم يُذكر ذلك الفارس، وذُكر من لوازمه الدّعاء والأهوال والانهزام، والمناسب للفارس الدّعاء والانهزام، وأمّا الأهوال فتحتمل المناسبة لكلّ من المشبّه والمشبّه به، وبالجملة فكلامه كناية عن ضعف صبره وقلّته.

وقوله : "لسُحْب"؛ الظّاهر أنّه تشبيه بليغ، لا استعارة لذكر طرفَي التّشبيه؛ وهي الصّلاة الكثيرة - الّتي هي رحمة - المشبّهة بالسُّحب - الّتي هي جمع كثرة - والرّحمة منها أرجى. وقوله : "بِمُنْهَلٍّ ومُنسَجِمِ" تأكيد للتّشبيه.

وقوله : "عذَبات البان"؛ يحتمل في بعض الوجوه أنْ يكون من الاستعارة بالكناية؛ لأنّه شبّه شجر البان - لالتفافها وتذليل

الغفران وجوازه، وفيه نظر. وفي البيت حسن التّعليل في قوله : "إنّ الكبائر"، وهو من المذهب الكلاميّ، ومن الكلام الجامع.

و"يقسمها" و"القِسَم" من ردّ الصّدور على الأعجاز، ومن تجنيس الاشتقاق، ويقرب من التّوشيح. ولفظ "القِسَم" من التّسهيم، أو من التّخيير.

قال بعضهم : «وتكريره لفظتَي "اجعَلْ" و"غَيْرَ" جناس».

قلتُ : ولعلّه بحسب متعلّقَيهما، والأَوْلى كون ذلك من التّكرير.

وفي هذا البيت الموازنة؛ فإنّ "رجائِي غيرَ مُنعَكِسٍ" موازن لـ "حِسَابِي غيرَ مُنخَرِمِ". وفيه التّقسيم؛ لنفي الانعكاس عن الرّجاء، والانخرام عن الحساب.

وفي قوله : "الدّارين" طباق معنويّ. وجمع "الصّبر" و"الدّعاء" و"الأهوال" و"الهزيمة" من مراعاة النّظير. وقوله : "إنّ له صبرًا" من حسن التّعليل. ويقرب أنْ تكون جُمل "واجْعَل.." و"اجْعَل.." و"الطُفْ.." و"ائذَنْ.." من التّفويف، وإنْ شئتَ جعلتها من التّقسيم بحسب مطالبه.

وألفاظ "السُّحُب" و"الدّائمة" و"المنهلّ" و"المنسجم" من مراعاة النّظير. وكذا "الصّلاة" و"النّبيّ" و"منهلّ" و"منسجم" من الموازنة. وجمع "منهلّ" و"المنسجم" في كون السُّحُب تأتي بكلّ منهما من الجمع.

وألفاظ "رنّحت" و"عذَبَات" و"البان" و"الرّيح" و"الصَّبا" كلّها متناسبة؛ فهي من مراعاة النّظير، وكذا كلمات "وأطرب" إلى آخر الشّطر الثّاني كلّها من مراعاة النّظير لتناسبها. وفي البيت التّقسيم؛ لإضافة الترنّح إلى العَذَبات والطّرب إلى العِيس؛ هذا باعتبار المفعول، وباعتبار الفاعل إضافة الأوّل إلى الرّيح والثّاني إلى الحادي، وقد يكون التّقسيم

باعتبار إضافة كلّ منهما إلى فاعله ومفعوله جميعًا. و"صَبَا" و"نغم" من الموازنة. و"نغم" من التّخيير؛ إذْ يصلح مكانه الكَلِم، لكنّ "النَّغم" أَوْلى؛ لأنّ الإبل إنّما تدرك الأصوات من حيث أنّها أصوات، لا من حيث أنّها كَلِم.

وجعل بعضهم تكرير لفظ "العِيس" من التّجنيس، وليس كذلك؛ إذْ هو شيء واحد، وإنّما هو من التّكرير من باب إيقاع الظّاهر موقع المُضمر، وفائدته ما تقدّم.

قيل : «وفي البيت الجمع؛ لجمعه ترنيح الصَّبَا للعَذَبات وإطراب الحادي للعِيس في حُكم واحد، وهو دوام الصّلاة على النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما دام كلٌّ منهما».

وفي هذا البيت والّذي قبله براعة الختام، وسمّاه بعضهم "**حسن المقطع**"، وبعضهم "**حسن الخاتمة**"[1].

---

(1) قال ابن حجة الحموي : «هذا النوع (أيْ حسن الختام) ذكر ابن أبي الأصبع أنّه من مستخرجاته، وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم، فإنّ التيفاشي سمّاه : "حسن المقطع"، وسمّاه ابن أبي الأصبع : "حسن الخاتمة"». انظر خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي : 493/2.

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ   وَهَـذَا دُعَـاءٌ لِلْبَرِيَّـةِ شَـامِلُ

وقوله[1] :

فَـلا حَطّـَتْ لَـكَ الهَيْجَـاءُ سَـرْجاً   وَلا ذاقَتْ لَكَ الدّنْيا فِراقَا

ومن أحسنها قول المتنبّي[2] :

وأعْطِيتَ الّذي لـم يُعطَ خَلْق   عليك صلاةُ ربّك والسّلامُ

(1) هو المتنبي. انظر البيت في الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. المؤيد بالله : 106/3.

(2) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 135/7.

الْإِعْرَابُ

نفسُ : منادى مضاف إلى ياء المتكلّم، حُذفت الياء استغناءً عنها بالكسرة، ويجوز إثبات الياء ساكنة ومتحرّكة بالفتح بلا ألف بعد الفتحة وبألف أيضًا، وقلب كسرة ما قبل الياء فتحة والياء ألفًا وحذف وضمّ ما قبلها، فهذه ستّ لغات في المُنادى المُضاف إلى يَاء المتكلّم[1].

ولا : ناهية. وتقنطي : مجزوم بها، وعلامة جزمه حذف النّون. والياء فاعل.

ومن زلّة : متعلّق بـ "تقنطي". و"من" للتّعليل.

وعظمت : في موضع الصّفة لـ "زلّة".

وكاللَّمَم : خبر "إنّ".

وفي الغفران : الأظهر تعلّقه بما يتعلّق به الخبر. وظاهر كلام الأستاذ[2] : أنّه يتعلّق بـ "كاللّمم". قال : «والمعنى : الكبائر مثل الصّغائر في الغفران»؛ أيْ تُغفر كما تُغفر الصّغائر.

قال : «وهذا في قوم مخصوصين في عِلم الله، وإلاّ فالإجماع على أنّه لا بدّ من إنفاذ الوعيد في طائفة من العصاة؛ لخبر الصّادق بذلك». انتهى.

قلتُ : وظاهره تعلّقه بالتّشبيه، وتقدّم في الشّرح أنّ قوله : "في الغفران"؛ أيْ في جوازه، والجواز لا يستلزم الوقوع.

---

(1) وبعضها أقوى وأكثر استعمالاً من بعض. انظر النحو الوافي. عباس حسن : 59/4 وما بعدها.

(2) يقصد أستاذه الإمام القصار.

لا يُقال : لا يحصل على هذا للنّفس ترجية.

لأنّا نقول : بل يحصل؛ لأنّ القنوط إنّما يكون مع تحقّق إنفاذ الوعيد، وأمّا مع جواز العفو، فيبقى العبد بين الرّجاء والخوف، وهو المطلوب منه.

لعلّ : حرف ترجٍ، وتقدّم ما قيل فيها. رحمة : اسمها . وتأتي : خبرها. وهو العامل في "حين" و"على حسب" و"في القِسَمِ"، ويجوز تعلّق "في القِسَم" بـ"حَسَب".

وجملة "يقسمها.." في موضع خفض بإضافة "حين" إليها، وبناء "حين" إنْ أُضِيف إلى مضارع جائز.

يا ربّ : إعرابه كإعراب "يا نفس".

واجعل : فعل أمر وفاعل، والمراد به الطلب والدّعاء، وبذلك يُسمّى في مثل هذا المقام. والظّاهر أنّ جملته معطوفة على فعل مقدّر؛ أيْ حقّق ظنّي، أو اسمع دعائي واجْعَل.

رجائي : مفعول ومضاف إليه، وعلامة نصبه فتحة مقدّرة في الهمزة الّتي قبل الياء.

وغير منعكس : مفعول ثانٍ إنْ كان جَعَل بمعنى صَيَّر، لكنّه قلقٌ هنا؛ فإنّه يقتضي أنّ رجاءه منعكس، وطلب أنْ يُصيَّر غير منعكس، فالأَوْلى جَعلها بمعنى أَوْجَد، و"غير منعكس" حال؛ أيْ أَوْجِد رجاءي يوم القيامة على هذه الحال. إلاّ أنْ يُقال : إنّه لمّا كان في مقام الإقرار بالذّنوب، ناسب أنْ يقرّ بأنّ رجاءه كاذب؛ لأنّه لم يعمل من الأعمال

الصّالحة ما يناسب الرّجاء، فرجاءه منعكس؛ لأنّه في الحقيقة تَمَنٍ، فناسب كون جَعَل بمعنى صَيَّر. فتأمّله[1].

ولديك : معمول لـ "اجْعَل"، أو لـ "منعكس" بقيد النّفي.

وإعراب باقي البيت كإعراب ما قبله.

والطف : عطف على "واجْعَل"، والمجروران بعده يتعلّقان به. وقال بعضهم : «يصحّ تعلّق "في الدّارين" بـ "عبدك"».

وصبرًا : اسم "إنّ". وله : خبرها.

ومتى : ظرف زمان مضمّن معنى الشّرط، ولذالك بُنِي. وتدْعه : مجزوم به، وهو عامل فيه. وعلى قول العامل فيه جوابه، والضّمير المنصوب عائد على "الصّبر"، وعلامة جزم "تدْعه" حذف الواو.

والأهوال : فاعل بـ "تدْعو".

ينهزم : جواب الشّرط، وأصله الجزم، وإنّما كُسر للسّاكنين.

وجملة الشّرط وجوابه صفة لـ "صبرًا".

وائذَنْ : عطف على "واجْعَل"، وحذف منه همزة الوصل استغناءً عنها بحركة حرف العطف.

لِسُحْبِ : مفعوله؛ لأنّ "ائذَنْ" يتعدّى بحرف الجرّ.

و "منك" و"دائمة" : صفتان لـ "صلاة"، ويجوز جعلهما نعتًا لـ "سُحْبِ"، وينبغي جَعل النّعت بالمجرور لغير المنعوت بـ "دائمة"؛ لئلاّ يتقدّم النّعت بالمجرور على النّعت بالمفرد، وغيره أحسن منه.

---

(1) أقول : وعلى ما يظهر من البيتين قبله أنّ هذا الاحتمال الثّاني أرجح.

الْإِشَارَاتُ

[حسن الظنّ بالله تعالى]

ما أحسن إشارات هذا النّاظم - رحمه الله ورضي عنه - في هذا النّظم، فإنّه بدأ فيه بالبكاء الشّديد؛ الممزوج دموعه بالدّم إشارة إلى اختيار ملازمة الخوف حال الابتداء للسّالكين، والمداومة عليه مدّة الحياة والصحّة، مع ملازمة السُّنن الّتي أشار إليها، والعبادات الّتي حضّ عليها في أثناء النّظم، ولمّا انتهى إلى الختام ختم بالرّجاء؛ تنبيهًا على أنّ العبد يُغلّب الرّجاء في آخر زمن من الدّنيا؛ ليلقى الله – تعالى – وهو محسن به الظنّ.

وعلى ذلك الوقت حمل أكثر العلماء قوله تعالى على ما حكى عنه نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيظُنْ بِي مَا شَاءَ**»[1]. وهو أيضًا الوقت الّذي عنى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله، كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**». فإنّ عائشة - رضي الله عنها - لمّا سمعت هذا الحديث قالت : يا رسول الله كلّنا نكره الموت. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَيْسَ كَذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، وإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ إِذَا حَضَرَ أَجَلُهُ رَأَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ**»[2]. والكافر بالعكس. إلاّ أنّ ذكر هذا الحديث في باب الرّجاء ضعيف، فإنّه إلى المعاينة أقرب، فمحبّة اللّقاء للمعاينة لا للرّجاء.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ مرفوعا في لذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ. بَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. ورواه غيره.

وفي كلامه أيضًا إشارة إلى أنّه ينبغي أنْ يُحمَل الخوف على النّفس، حتّى إذا كانت في آخر درجة منه، وهي ما يقارب القنوط، أُنعِشت بالرّجاء؛ لئلاّ تهلك، فمخاطبته النّفس بقوله : "لا تقنطي" عند الختام؛ تنبيه على الحالتَين، والله أعلم. وكأنّه بلغ من الخوف الدّرجة العظمى، فلِذا رجّاها أيضا بأقوى درجات الرّجاء :

أمّا الأوّل : فلقوله : "لا تقنطي"، وقوله : "مِن زلّة عظُمت"، وقوله: "إنّ الكبائر".

وأمّا الثّاني : فلنهيه، ولتسويته بين الكبائر والصّغائر في الغفران، ولقوله في البيت الثّاني : "لعلّ رحمة ربّي"، فذكر رحمة أرحم الرّاحمين الّتي خبّأ منها تسعة وتسعين جزءًا لوقت الفاقة العظيمة، ولقد كان الجزء الواحد كافيًا. وأضافها إلى الربّ المحسن في الابتداء من غير سبب استحقاق للإحسان. فالظنّ به جلّ جلاله أنْ يتمّ ذلك الإحسان بالإنقاذ من أليم النّيران، وهي كاظمة الّتي ذكر البكاء - في ثاني بيت من القصيد - من أجلها كما قدّمنا، وبالإنالة من نعيم الجنان، وهي ذو سَلَم الّتي أشار إليها في أوّل بيت من القصيد. وتقدّم لنا أنّه قدّمها إشارة إلى سبقية الرّحمة الغضب، فأشار هنا إلى أنّ تلك الرّحمة السّابقة بها يكون الختم بفضل الله، وتُقسَم على حسب العصيان، حتّى لا تدع قِسمًا من أقسام العصيان إلاّ أتت عليه، ثمّ الرّجاء به حياة القلوب، وهو مُعين على زيادة محبّة علاّم الغيوب.

[الفرق بين الرّجاء والتمنّي]

والفرق بين الرّجاء والتمنّي - مع ما تقدّم - أنّ التمنّي يورث صاحبه الكسل، ولا يسلك سبيل الجدّ، وبعكسه صاحب الرّجاء، وتقدّم أنّ حقيقة الرّجاء : «تَعْلِيقُ القَلْبِ بِمَحْبُوبٍ سَيَحْصُلُ فِي الْمُسْتَقْبلِ»[1]. وقيل : «الرَّجَاءُ : ثِقَةُ الجُودِ مِنَ الكَرِيمِ»[2].

وقيل : «رُؤْيَةُ الجَلاَلِ بِعَيْنِ الجَمالِ»[3]. وقيل : «قُرْبُ القَلْبِ مِنْ مُلاَطَفَةِ للرَبِّ»[4].

وقيل : «سُرُورُ الفُؤَادِ بِحُسْنِ المَعَادِ»[5].

وقيل : «النَّظَرُ إِلى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ»[6].

وسئل أحمد بن عاصم[7] : ما علامة الرّجاء؟ قال : «أَنْ يَكُونَ إِذَا أَحَاطَ بِهِ الإِحْسَانُ، أُلْهِمَ الشُّكْرَ رَاجِيًا لِتَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَمَامِ عَفْوِهِ فِي الآخِرَةِ»[8].

---

(1) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 259/1.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(4) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(5) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(6) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(7) قال القشيري : «أَبُو عَلَى أَحْمَد بْن عَاصِم الأنطاكي من أقران بشر بْن الْحَارِث والسري السقطي والحارث المحاسبي، وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَان الدراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته». انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 73/1.

(8) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

وقال أبو عثمان المغربيّ : «مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّجَاءِ تَعَطَّلَ، وَمَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الخَوْفِ قَنَطَ، وَلَكِنْ مِنْ هَذِهِ مَرَّةً، وَمِنْ هَذِهِ مَرَّةً»[1].

وقال ابن خَبِيقٍ[2] : «أَهْلُ الرّجَاءِ ثَلاثَةٌ : رَجلٌ عَمِلَ حَسنةً، فَهُوَ يَرجُو قَبُولَهَا، وَرَجُلٌ عَمِلَ سَيِّئَةً، ثُمَّ تَابَ، فَهُوَ يَرْجُو المَغفرةَ، والثّالثُ الرّجَاءُ الكَاذبُ، وصَاحبُهُ يَتَمَادَى فِي الذّنُوبَ، وَيَقُول أرجُو المَغفرةَ..»[3].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن جبريل - عليه الصّلاة والسّلام - قال : قال الله تعالى وجلّ: **«عَبْدِي متى مَا عَبَدَّتَنِي وَرَجَوْتَنِي، وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَوِ اسْتَقْبَلْتَنِي بِمِلْءِ الأَرْضِ خَطَايَا وَذُنُوبًا، اسْتَقْبَلْتُكَ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً، فَأَغْفِرُ لَكَ وَلا أُبَالِي»**[4]. وفي بعض طرق حديث الشّفاعة: **«أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي»**[5].

---

(1) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 261/1.

(2) أَبُو مُحَمَّد عَبْد اللَّهِ بْن خبيق من زهاد المتصوفة صحب يُوسُف بْن أسباط كَانَ كوفي الأصل ولكنه سكن أنطاكية. انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 72/1.

(3) وتتمة كلامه : ومن عرف نَفْسه بالإساءة ينبغي أَن يَكُون خوفه غالبًا عَلَى رجائه. انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 260/1.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان : 334/2. رقم الحديث : 1009. والحديث صحيح.

(5) رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه مرفوعا في الأوسط : 690/19. الحديث رقم : 18534. وإسناده صعيف.

وقال أبو بكر بن سليم الصوّاف[1] : دخلنا على مالك بن أنس - رحمه الله - في العشيّة الّتي قُبض فيها، فقلتُ : «يا أبا عبد الله كيف تجدك؟» فقال : «مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكُمْ، أَلاَ إِنَّكُمْ سَتُعَايِنُونَ مِنْ عَفْوِ اللهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ». ثمّ ما برحنا حتَّى أغمضناه[2].

وحديث الرّجاء والآثار والحكايات الواردة فيه كثيرة جدًّا، وتقدّم في صدر الكتاب شيء من ذلك.

---

(1) في المطبوع من الرسالة القشيرية : بكر بن سليم الصوّاف. وهو الصواب. وهو أبو سليمان الطائفي سكن المدينة. روى عن أبي صخر الخراط وربيعة الرائي وزيد بن اسلم ومحمد بن المنكدر وغيرهم. وعنه ابراهيم بن المنذر وأبو الطاهر بن السرح وإسحاق بن موسى وغيرهم. انظر ميزان الاعتدال. الذهبي : 345/1.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 261/1.

[التضرّع إلى الله تعالى]

قوله : "يَا رَبِّ"؛ هكذا ينبغي للعبد أنْ يتضرّع إلى الله في أنْ يحقّق له ما تقرّب إليه به من رجاء أو غيره من العبادات آخر كلّ عبادة، فإنّ ذلك براءة من حوله وقوّته إلى حول الله وقوّته، ولأنّ في الدّعاء ثناءً على الله – تعالى - وحمدًا له : ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]. والصّلاة على محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حمد الله والثّناء عليه في أفعاله، وهي أيضًا من الدّعاء، وقال تعالى : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى .. ﴾ الآية[3].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الدّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»[4]. والمخّ هو اللبّ من كلّ شيء، وآخر مطلوب من الأشياء المحجوبة لُبّها، فإذا انتهى المتعبّد إلى الدّعاء، فقد انتهى إلى لُبّ العبادة، ولم يبق له منها مطلب، فجدير بالمتعبّد أنْ لا يفارق الدّعاء، وأيضًا المخّ من ذي المخّ دليل على القوّة، ومَن لا مخّ فيه، لا قوّة فيه، فالعبادة إنْ خلت من الدّعاء، خلت من المخّ، فضعفت، وكأنّها بصدد السّقوط، وإنْ اشتملت عليه كانت قويّة. وقال سَهل[5] : «خَلَقَ اللّهُ الخَلْقَ، وَقَالَ نَاجُونِي، فَإِن لَمْ

---

(1) سورة يونس : من الآية 10.

(2) سورة غافر : من الآية 60.

(3) سورة البقرة : من الآية 186.

(4) رواه الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه مرفوعا في الدعوات. بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ. ورواه غيره. والحديث ضعيف.

(5) هو سهل بن عبد الله التستري.

[التفاضل بين الدّعاء والسّكوت]

وهذا كلّه يدلّ على أنّ الدّعاء أفضل من السّكوت على ما عليه المحقّقون : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[1]. [2]

وقال قوم : «السّكوتُ أفضل». ورأوا أنّه من الرّضا بالقضاء[3].

وقال قوم : «يجب أنْ يكون العبد صاحب دعاء بلسانه، صاحب رضا بقلبه، ليأتي بالأمرَين جميعًا»[4].

وقال قوم[5] : «هو بحسب الأوقات، فقد يكون الدّعاء في وقت أفضل، وقد يكون السّكوت في وقت أفضل، ويُعرف ذلك بعِلم الوقت، فإنْ وجد بقلبه إشارة إلى الدّعاء، فالدّعاء، وإنْ وجد إشارة إلى السّكوت، فالسّكوت»[6].

وقيل : «ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحقّ - سبحانه وتعالى - فيه حقّ، فالدّعاء أَوْلى، وما كان لنفسه فيه حظّ، فالسّكوت أتمّ»[7].

وفي الخبر : «**إنّ العَبْدَ يَدْعُو واللهُ تَعَالَى يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ : يَا جِبْرِيلُ أَخِّرْ حَاجَةَ عَبْدِي، فَإِنّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَإِنَّ العَبْدَ**

(1) سورة الفرقان : من الآية 77.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 422/2.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 422/2.

(4) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 422/2.

(5) وهو القشيري.

(6) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 422/2.

(7) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 422/2.

[الاستشفاع بالصّلاة على النّبيّ عليه السلام في قبول الدّعاء]

ولمّا دعا النّاظم الله - سبحانه وتعالى - أنْ يُنجح رجاءه، وأنْ لا يخيّب ظنّه، وأنْ يلطف به في الدّارين لطفاً يغنيه عن الصّبر على المشاق، استشفع في قبول دعائه بأنْ ختمه بالصّلاة على محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على ما قدّمنا من ذلك في التّفسير.

وأشار بتشبيه الصّلاة عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثرتها - بالسّحاب الدّائمة بالمنهل والمنسجم؛ تنبيهًا على أنّ مَن أكثر منها لا عُدم الخير الكثير، كما لا يعدمه مطر السُّحُب الموصوفة، كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأُبَيّ لمّا قال له : يا رسول الله، أجعل صلاتي كلّها لك؟ قال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ**»[1].

وطلب أنْ يكون دوامها بدوام ميل الغصون بريح الصّبَا، فجازاه الله بمناسب ذلك؛ وقَبِل دعاءه، وهو أنّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمّا كانت هذه القصيدة المباركة تُنشد بين يديه يتمايل كما يتمايل القضيب، ولعلّ عَذَبَة عمامته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانت تتمايل حينئذٍ.

كما أنّه جُوزي بطلبه بدوامها بدوام طرب العِيس لنِغَم الحادي، أنّ كلّ مَن سمعها من محبّيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يطرب لنغم منشديها طربًا بَيّنًا، فكأنّه أشار بالبان إلى ذاته الطّاهرة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنّ قدّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قدّ القضيب المعتدل، ورائحته أطيب الرّوائح، والبان يُستخرج منه طيب عطر.

---

(1) سبق تخريجه.

وأشار بالعِيس إلى أمّته، فإنّهم البيض الوجوه، الغرّ المحجّلون، كما أنّ العِيس البيض الّتي يشوب بياضها حمرة، ولأنّ العِيس تَطرَب فتُسرِع المسير عند سماع صوت حاديها، فتجدّ السّير إلى الغاية المرادة لأصحابها، فكذا المؤمن يَطرَب عند سماع القرآن والسُنّة، فيجدّ السّعي في العمل بمقتضاهما، ويسير إلى الغاية المقصودة السّيرَ الحثيث.

جعلنا الله ممّن يطرب لسماع آياته، ويحثّ السّير إلى تحصيل بشاراته، واجتناب إنذاراته، وجعلنا من المحبّين في النّبيّ وأصحابه وأزواجه وذريّاته، وحشرنا يوم القيامة في زمرتهم وزمرة المتّبعين لطريقتهم، ونجّانا بهم من أهوال ذلك اليوم وشدائد عرصاته، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاةً وسلامًا يَلِيقان بمعجزاته وآياته.

وهذا آخر ما قصدت ذكره في هذا المجموع، والحمد لله الّذي من فضله هدانا، وإلى رحمته - إنْ شاء الله - الرّجوع، وقد جاء بحمد الله كما أمّلتُ، وببركة محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فوق ما أردتُ، فإنّه شرح قد اشتمل على سبعة شروح، وبالنّظر فيه تنبسط النّفس، وتنتعش الرّوح، وليكن اختتامنا بما كان به ابتداءنا؛ الحمد لله الّذي أفضل فعمّ إفضاله، وأنعم فتمّ نواله، وغفر الذّنوب فتكامل إحسانه، وستر العيوب فتواصل غفرانه، وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الّذين اصطفى.

وكان الفراغ من تقييد مبيضّته يوم الجمعة الثّامن عشر [18] من شهر الله المحرّم فاتح عام عشرة وثمانمائة [810هـ]، عرّفنا الله خيره وبركته بتلمسان.

مصادر المقدّمة والتّحقيق

أ

- الآحاد والمثاني. أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني. تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية. الرياض. السعودية. الطبعة الأولى سنة 1411هـ/1991م.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية. محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- الإبانة الكبرى. أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري. تحقيق رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري. دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض. سنة 2005م.
- الإتقان في علوم القرآن. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. طبعة سنة 1394هـ/ 1974م.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري. دار الوطن. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى سنة 1420هـ/1999م.

- الإحكام في أصول الأحكام. أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي. تحقيق عبد الرزاق عفيفي. المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. لبنان.
- إحياء علوم الدين. محمد بن محمد الغزالي أبو حامد. دار االمعرفة. بيروت. لبنان.
- الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة. علي بن عبد الرحمن بن هذيل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- أدب الدنيا والدين. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1986م.
- أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تحقيق محمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1412هـ - 1992م.
- أسرار البلاغة فى علم البيان. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني. تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1422هـ - 2001م.
- الأسماء والصفات للبيهقي. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي. مكتبة السوادي، جدة. السعودية. الطبعة الأولى. سنة 1413هـ - 1993م.

- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق الشيخ بهيج غزاوي. دار إحياء العلوم. بيروت. لبنان. السنة 1419هـ/ 1998م.

ب

- البحر المحيط في أصول الفقه. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. دار الكتبي. الطبعة الأولى. سنة 1414هـ - 1994م.
- البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق صدقي محمد جميل. دار الفكر. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1420هـ.
- البداية والنهاية. أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الاولى سنة 1408هـ/1988م.
- بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم. الدكتور محمد فتح الله مصباح. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 2010م.
- برنامج الوادي آشي. محمد بن جابر الوادي آشي. تحقيق محمد محفوظ. دار المغرب الاسلامي. بيروت. لبنان. السنة 1400هـ/980م.
- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية. محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي. مطبعة الحلبي. مصر. طبعة سنة 1348هـ.
- بستان الفقراء ونزهة القراء. صالح بن عبد الله الشهير بالعماد. تحقيق يوسف أحمد. درا الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة 2007م.

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني. المطبعة الثعالبية. الجزائر. طبعة سنة 1326هـ.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب. مصر. الطبعة السابعة عشر. سنة 1426هـ-2005م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب. عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، كمال الدين ابن العديم. تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا. لبنان.
- البلاغة العربية. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. الطبعة الأولى، سنة 1416 هـ - 1996 م
- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ). أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي. دار المعارف. مصر.
- البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر. تحقيق المحامي فوزي عطوي. دار صعب. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1968م.

ت

- تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.

- تاريخ ابن معين – رواية الدوري. يحيى بن معين أبو زكريا. تحقيق د. أحمد محمد نور سيف. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الأولى سنة 1399هـ/1979م.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 2003م.
- التاريخ الصغير. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. تحقيق محمود ابراهيم زايد. دار المعرفة. بيروت. لبنان. الطبعة الاولى سنة 1406هـ/1986م.
- تاريخ بغداد. أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- تاريخ دمشق. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. تحقيق عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. سنة النشر 1415هـ - 1995م.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل. أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي. تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري. دار الفكر. بيروت. لبنان. السنة 1995م.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري. جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي. تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد. دار ابن خزيمة. الرياض. الطبعة الأولى سنة 1414ه.

- تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور. تحقيق محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 2001م.
- تهذيب كتاب الأفعال لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية. أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى سنة 1403هـ/1983م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي. شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان. دار الفكر العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1428هـ - 2008م.

ث

- الثقات. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. تحقيق السيد شرف الدين أحمد. دار الفكر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1395هـ/1975م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. دار المعارف. القاهرة. مصر. الطبعة الأولى سنة 1965م.

ج

- الجامع الصحيح المختصر. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة سنة 1407هـ/1987م.

- الحماسة البصرية. علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري. تحقيق مختار الدين أحمد. عالم الكتب – بيروت. لبنان. بدون سنة.
- (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب. أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي. تحقيق محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر – بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1991م.
- حياة الحيوان الكبرى. محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 1424هـ.

خ

- خزانة الأدب وغاية الأرب. تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري. تحقيق عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1987م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. السنة 1998م.
- الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. عالم الكتب. بيروت. لبنان.

د

- الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين). محمد بن أحمد ميارة المالكي. تحقيق عبد الله المنشاوي. دار الحديث. القاهرة. سنة 1429هـ – 2008م.

- الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، سنة 1436 هـ – 2015م.
- الدر المنثور. عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. لبنان. سنة 1993م.
- الدرّ المنظّم في مولد النبيّ المعظّم. أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي. دراسة وتحقيق وتعليق. الدكتور عبد الله حمادي. دروب للنشر والتوزيع. عمان.طبعة سنة 2015م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. تحقيق مراقبة محمد عبد المعيد ضان. مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد. الهند. سنة النشر 1392هـ/ 1972م.
- دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. تحقيق د . محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس. دار النفائس. بيروت. لبنان الطبعة الثانية سنة 1406هـ/1986م.
- دلائل النبوة. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة. طبعة سنة 1989م.
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. حقق أصله وعلق عليه أبو اسحق الحويني الاثري. دار ابن عفان. المملكة العربية السعودية. الطبعة الاولى سنة 1416هـ/1996م.
- الديباج. إسحاق بن إبراهيم بن سنين أبو القاسم الخَتْلي. تحقيق إبراهيم صالح. دار البشائر. الطبعة الأولى سنة 1994م.

- ديوان ابن سهل الأندلسي. تحقيق يسري عبد الغني عبد الله. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- ديوان امرِئ القيس. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة – بيروت. الطبعة الثانية، سنة 1425هـ - 2004م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى.تحقيق علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة النشر 1408هـ – 1988م.
- ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب. أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي. تحقيق عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان. جدة. السعودية. الطبعة الأولى، سنة 1982م - 1402هـ.
- ديوان المعاني. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. دار الجيل – بيروت. لبنان. بدون سنة.
- ديوان الوأواء الدمشقي. حققه سامي الدهان. دار صادر. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 1414هـ - 1993م.

ر

- رسائل الجاحظ. عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. طبعة سنة 1384 هـ - 1964 م
- رسالة الفضل والمنة لمن وفقه الله وهداه. مطبوع مع المنتخب في الفقه على المذاهب الأربعة. كلاهما لعلي نور الدين بن حجازي البيومي. علق عليه أحمد فريد المزيدي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 2005م.

- الرسالة القشيرية. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف. دار المعارف. القاهرة.
- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. عالم الكتب. لبنان. بيروت. الطبعة الأولى سنة 1999 م/1419هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1412هـ.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. بدون سنة.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1412 هـ/1992م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى. تحقيق إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة. بيروت. طبع على مطابع دار السراج. الطبعة الثانية. سنة 1980م.

ز

- زاد المسير في علم التفسير. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1422هـ.

- الزهد الكبير. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي. تحقيق عامر حيدر. المكتبة الثقافية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1417هـ .
- الزهد ويليه الرقائق. عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله. بيروت. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- الزهد. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1420هـ/1999م.
- زهر الأداب وثمر الألباب. أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني. تحقيق يوسف على طويل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1417 هـ/1997م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم. الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي تحقيق د محمد حجي، د محمد الأخضر. الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء —المغرب. الطبعة : الأولى، سنة 1401هـ - 1981م.

س

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. محمد بن يوسف الصالحي الشامي. تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1414 هـ/1993م.
- سر الفصاحة. أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي. دار الكتب العلمية. الطبعة الطبعة الأولى. سنة 1402هـ _ 1982م.

- السيرة النبوية لابن هشام. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد. تحقيق طه عبد الرءوف سعد. دار الجيل. بيروت. لبنان. سنة النشر 1411هـ.

ش

- الشافية في علم التصريف. جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني. تحقيق حسن أحمد العثمان. المكتبة المكية. مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى سنة 1995م.
- شرح أرجوزة ابن سينا في الطب. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. طبعة جامعة قطر.
- شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا. نصير الدين الطوسي. تحقيق الدكتور سليمان دنيا. دار المعارف. مصر. طبعة سنة 1960م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1419هـ- 1998م.
- شرح تسهيل الفوائد. محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى. سنة (1410هـ - 1990م).
- شرح ديوان الحماسة. يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا. دار القلم – بيروت. لبنان. بدون سنة.

- شرح صحيح البخارى أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد. الرياض. السعودية. الطبعة الثانية سنة 1423هـ/2003م.
- شرح الكافية الشافية. محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي. جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة. الطبعة الأولى. بدون سنة.
- شرح اللقاني على الجوهرة. إبراهيم اللقاني. دار البصائر. القاهرة. مصر. الطبعة الأولى. سنة 1430هـ-2009م.
- شرح المفصل للزمخشري. يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع. قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1422هـ - 2001م.
- شرح مقامات الحريري. أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. سنة النشر 1413هـ - 1992م.
- شرح نظم النورية في التوحيد. الحسين بن محمد الورثلاني. تحقيق البشير برمان. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 2012م.
- شرح نهج البلاغة. عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون سنة.

- شعب الإيمان. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. حققه عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى سنة 1423هـ/2003م.
- الشعر والشعراء. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. دار الحديث. القاهرة. سنة النشر 1423هـ
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. أبو الفضل عياض اليحصبي. دار الفكر. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1409هـ/1988م.
- الشمائل. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1412ه.

ص

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة. سنة 1407هـ /1987م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية سنة 1414هـ/1993م.
- صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا. تحقيق عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1417هـ/1997م.

- صفة الصفوة. عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي. تحقيق محمود فاخوري / د. محمد رواس قلعه جي. دار المعرفة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية سنة 1399هـ/1979م.
- الصناعتين. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. تحقيق: علي محمد البجاوي. ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العنصرية – بيروت. سنة النشر 1419هـ.

ض

- ضرائر الشِّعْر.علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور. تحقيق السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. سنة 1980م.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. ذار القلم. دمشق. الطبعة الرابعة. سنة 1414هـ-1993م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.

ط

- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي. تحقيق د. محمود محمد الطناحي. هجر للطباعة. الطبعة الثانية سنة 1413هـ.

- طبقات الصوفية. أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. سنة النشر 1419هـ/1998م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله. المكتبة العنصرية – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1423هـ.

ع

- علم العروض والقافية. عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- العقد الفريد. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي. دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1404هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه. أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. الطبعة الخامسة. سنة 1401هـ – 1981م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. لبنان. بدون سنة.
- العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. بدون سنة.

- الفتوحات القدوسية شرح المقدمة الأجرومية. أبو العباس أحمد بن عجيبة. اعتنى بجمعه وتقديمه عبد السلام العمراني الخالدي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- فتوح الشام. محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1417هـ - 1997م.
- الفرائد في حل شرح العقائد. وهي حاشية ابن أبي شريف على شرح العقائد للتفتازاني. كمال الدين محمد بن أبي شريف الشافعي. تحقيق محمد العزازي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. طبعة سنة 2017م.
- الفردوس بمأثور الخطاب. أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. سنة النشر 1406 هـ/ 1986م.
- الفروق اللغوية. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. بدون سنة.
- فقه اللغة وسر العربية. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الطبعة الأولى. سنة 1422هـ - 2002م.
- فوات الوفيات. محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين. تحقيق إحسان عباس. دار صادر – بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1973م.

- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي. تحقيق رضا فرحات. مكتبة الثقافة الدينية.
- الفيض الرحماني شرح كتاب الطب الروحاني لأبي الفرج ابن الجوزي. علي أحمد عبد العال الطهطاوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بدون سنة.

ق

- القربة إلى رب العالمين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين. خلف بن عبد الملك ابن بشكوال. تحقيق: حسين محمد علي شكري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 2010م.
- القصاص والمذكرين. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق د. محمد لطفي الصباغ. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 1409هـ - 1988م.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي. دار الكتب العلمية. تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية سنة 1426هـ/2005م.

ك

- الكامل في ضعفاء الرجال. أبو أحمد بن عدي الجرجاني. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1418هـ/1997م.

- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها. يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي البسكري المغربي. تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب. مؤسسة سما للتوزيع والنشر. الطبعة الأولى. سنة 1428هـ - 2007م.
- الكامل في اللغة والأدب. محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. مصر. الطبعة الثالثة سنة 1417هـ/1997م.
- الكتاب. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة الثالثة. سنة 1408هـ - 1988م
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- الكشف والبيان أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1422هـ/2002م.
- الكشكول. محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1418هـ -1998م.

- لسان الميزان. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة سنة 1406هـ/1986م.
- لطائف الإشارات (تفسير القشيري). عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. تحقيق إبراهيم البسيوني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. الطبعة الثالثة.
- اللطائف والطب الروحاني. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الطباعة المحمدية. مصر. بدون سنة.
- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن. أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري. حققه عاصم إبراهيم الكيالي. كتاب ناشرون. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1405ه-1985م.
- اللمحة في شرح الملحة. محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ. تحقيق إبراهيم بن سالم الصاعدي. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 1424هـ - 2004م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي. مؤسسة الخافقين ومكتبتها. دمشق. الطبعة الثانية سنة 1402هـ/1982م.

م

- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو. دار الجيل. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1411هـ - 1991م.
- ما يجوز للشاعر في الضرورة. محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي. حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي. دار العروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهرة. بدون سنة.
- المبدع الملخص من الممتع. أبو حيان الأندلسي. تحقيق محمد أحمد خليل النماس. المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة. مصر. بدون سنة.
- المبسوط في القراءات العشر. أحمد بن الحسين النيسابوريّ. تحقيق سبيع حمزة حاكيمي. مجمع اللغة العربية. دمشق. سنة النشر 1981م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة العصرية. بيروت. لبنا. سنة 1995م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الفكر. بيروت. لبنان. سنة 1412هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1413هـ/1993م.

- المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1421هـ - 2000م.
- مختارات شعراء العرب لابن الشجري. ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري. ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي. مطبعة الاعتماد. مصر. الطبعة الأولى. سنة 1344هـ - 1925م.
- المخصص. أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده. تحقيق خليل إبراهم جفال. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى سنة 1417هـ/1996م.
- المدخل. أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج. دار الفكر. بيروت. لبنان. السنة 1401هـ /1981م.
- المدونة الكبرى. مالك بن أنس بن مالك. تحقيق زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي». تحقيق وتعليق: محمد بركات، وغيره. دار الرسالة العالمية. دمشق. سوريا. الطبعة الأولى. سنة 1434هـ - 2013م
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري. دار الفكر، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى، سنة 1422هـ - 2002م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1998م.
- المسائل الشيرازيات. أبو علي الفارسي. تحقيق حسن بن محمود هنداوي. كنوز إشبيليا. السعودية. الطبعة الأولى. سنة 1424هـ-2004م.
- مستدركات أعيان الشيعة. حسن الأمين. دار التعارف للمطبوعات. الطبعة الأولى. سنة 1987م.
- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1411هـ/1990م.
- المستصفى. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1413هـ - 1993م.
- المستطرف في كل فن مستظرف. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي. تحقيق د. مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية سنة 1986م.
- مسند أبي يعلى. أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث. دمشق. سوريا. الطبعة الأولى سنة 1404هـ/1984م.
- مسند الإمام الربيع بن حبيب. الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري. تحقيق محمد إدريس. عاشور بن يوسف. دار الحكمة. بيروت. لبنان. سنة النشر 1415هـ.

- المفتاح في الصرف. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني. حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب - جامعة اليرموك - إربد - عمان.مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة (1407 هـ - 1987م).
- المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية. دمشق. بيروت. الطبعة الأولى سنة 1412هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي. تحقيق محمد عثمان الخشت. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1405هـ - 1985م.
- المقتطف من أزاهر الطرف. أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي. شركة أمل، القاهرة. سنة النشر 1425هـ.
- مقصورة حازم القرطاجني. تحقيق: مهدي علام. مجلة حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، مايو 1953 ـ المجلد 2.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة. 1417هـ - 1997م.
- معانى القرآن للأخفش. أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط. تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1411هـ - 1990م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام. تحقيق د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله. دار الفكر – دمشق. الطبعة السادسة. سنة 1985م.
- مفاتيح الغيب. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1421هـ/2000 م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. بدون سنة.
- مفتاح العلوم. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الثانية. سنة 1407هـ - 1987م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. السَّخاوي، عبد الرحمن. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. محمد بن محمد الغزالي أبو حامد. تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي. الجفان والجابي. قبرص. الطبعة الأولى سنة 1407هـ/1987م.
- المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. دار إحياء التراث القديم. الطبعة الأولى في ذي الحجة سنة 1373هـ - أغسطس سنة 1954م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف. الطبعة الأولى. سنة 1994م.

- المواقف. عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي. تحقيق د.عبد الرحمن عميرة. دار الجيل. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1997/.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. أحمد بن محمد القسطلاني. تحقيق صالح أحمد الشامي. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1425هـ - 2004م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج. دار صادر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة 1358هـ.
- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرُّعيني. تحقيق زكريا عميرات. دار عالم الكتب. بيروت. لينان. طبعة خاصة سنة 1423هـ/2003م.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين. المكتبة التوفيقية، القاهرة. مصر. بدون سنة.
- موطأ الإمام مالك. مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. مصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

ن

- نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة. داود بن سليمان النقشبندي. دار جوامع الكلم. القاهرة. مصر. طبعة سنة 1425هـ.

- النحو الوافي. عباس حسن. دار المعارف. مصر. الطبعة الخامسة عشرة. بدون سنة.
- نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف.محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله، أبو حامد، جمال الدين الحبيشي الوَصَابي الشافعي. دار المنهاج – جدة. الطبعة الأولى. سنة 1417هـ/ 1997م.
- النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصرية. حسن العدوي الحمزاوي. خرج أحاديثه وعلق عليه. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بدون سنة.
- نفائس الأصول في شرح المحصول. شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة الأولى. 1416هـ – 1995م.
- نفحات الأنس من حضرات القدس. نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. سنة الطبع 1989م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق إحسان عباس. دار صادر- بيروت – لبنان.
- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد. أبو العباس البسيلي التونسي. مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة. وبذيله (تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي). تقديم وتحقيق محمد الطبراني. منشورات

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان. طبعة سنة 1900م.

ي

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي. تحقيق د. مفيد محمد قمحية. دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1403هـ1983م.

فهرس

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَى أَنْبَاءُ بِعثَتِه ... وَلَمْ تَئِمِ 3
شَرْحُ الغَرِيْبِ........ 3
التَّفْسِيْرُ 23
[فزع الكفار من أخبار بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 23
[الاستدلال لما أشار إليه الناظم في الأبيات]........ 25
[فزع الكفار من أخبار حروب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 27
[شدة فزع الكفار عند ملاقاتهم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 30
[أوصاف النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الجيش من الصحابة]........ 40
[عزّ ملة الإسلام وثباتها]........ 43
[تعظيم الصحابة للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 45
اَلْمَعَانِيْ 47
اَلْبَيَانُ 50
اَلْبَدِيْعُ 53
اَلْإِعْرَابُ 59
اَلْإِشَارَاتُ........ 65
[الدّنيا والآخرة ضدّان]........ 65
[الاجتماع على الكفر من أخلاق أهل الجهل] 66

[فضل الاجتماع في الجهاد].. 67
[مشروعية الأشهر الحُرُم].. 69
[حماية الشريعة].. 70
هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... وَالبُهُمِ.. 71
شَرْحُ الغَرِيْبِ.. 71
التَّفْسِيْرُ 91
[فضل الصّحابة ومن اهتدى بهديهم] 91
[أخبار بدر] 97
[ابن مرزوق يذكر بعض آيات بدر الّتي عاينها].. 102
[أخبار أُحُد].. 104
[أخبار حُنَين] 112
[جَلَدُ الصحابة في الجهاد] 118
[أقوال في معنى الأبيات] 138
اَلْمَعَانِي 139
اَلْبَيَانُ 141
اَلْبَدِيْعُ 145
اَلْإِعْرَابُ 150
اَلْإِشَارَاتُ.. 156
[صفات أولياء الله وفضلهم].. 156
[طريقة الوصول إلى مقام الصالحين].. 160
[تمييز الصالحين عن المنافقين] 162
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُه... وَفِي سَلَمِ.. 164

شَرْحُ الغَرِيْبِ.. 164
[حقيقة الشِّعر].. 174
التَّفْسِيْرُ.. 182
[انتصار الصّحابة – ومَن تبعهم – بالرسول عليه السلام]................................ 182
[منزلة أمّة الإسلام].. 186
[إنتصار الإسلام بحجج القرآن].. 191
[علم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق كلّ ذي علم]................................ 193
[بعض المعجزات الدّالة على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]................................ 194
[النّاظم يفصح بالإقرار بما ارتكبه من الآثام]................................ 197
[توبة النّاظم وميله للصّالحين].. 204
[توبيخ النّاظم نفسه].. 206
اَلْمَعَانِيْ.. 217
اَلْبَيَانُ.. 221
اَلْبَدِيْعُ.. 223
[حقيقة المزاوجة].. 224
اَلْإِعْرَابُ.. 229
اَلْإِشَارَاتُ.. 236
[نصرة الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتّباع سنّته]................................ 236
[اتّباع السُّنَّة علامة الولاية].. 237
[حفظ الله لأمّة الإسلام].. 238
[مدح الرسول عليه السلام هو حمد لله تعالى]................................ 240
[ذمّ حَمْد غير الله ومدحه].. 242

[حفظ اللّسان] 243
إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... وَالقَلَمِ 247
شَرْحُ الغَرِيْبِ.. 247
التَّفْسِيْرُ 271
[النّاظم يؤنس نفسه ويرجّيها في رحمة الله]... 271
[التّرغيب في التّسمية باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 279
[ابن مرزوق يروي قصّة مولده وسبب تسميته].. 282
[ابن مرزوق يذكر تاريخ مولده].. 284
[نجاة المتمسّك بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 285
[سبب إنشاء البوصيري للقصيدة المباركة].. 289
[بركة قصيدة البردة] 290
[الاستشفاء بالرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 291
[بركة الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] 292
[صدق إيمان النّاظم] 294
[ما يتوسل إليه بمدح الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]....................................... 295
[ما يسوغ من سؤال الدّنيا].. 299
[لواذ الناظم بالرسول هو طلب الشفاعة]... 300
[تحقيق معنى اتصاف الكريم بالمنتقم] 303
[عظم جود النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسعة علمه] 306
اَلْمَعَانِيْ 309
اَلْبَيَانُ 313
اَلْبَدِيْعُ 315

اَلْبَيَانُ 382
اَلْبَدِيْعُ 385
[حقيقة براعة الختام] 388
اَلْإِعْرَابُ 390
اَلْإِشَارَاتُ 394
[حسن الظنّ بالله تعالى] 394
[الفرق بين الرّجاء والتمنّي] 396
[التضرّع إلى الله تعالى] 399
[التفاضل بين الدّعاء والسّكوت] 401
[فضيلة الصبر] 403
[الاستشفاع بالصّلاة على النّبيّ عليه السلام في قبول الدّعاء] 404
مصادر المقدّمة والتّحقيق 406

تم بحمد الله